الأصحاح الرابع

مقدمة:

على قدر ما تفوح رائحة الغضب الإلهي من الأصحاح السابق وعلى قدر ما نرى فيه أن كلمة الرب شديدة في إنذارها وتوبيخها ككلمة قضاء ودينونة عادلة ... على قدر ما تتغير هذه الصورة في هذا الأصحاح ... فنحن نواجه هنا تعطفات أبوية رحيمة. ورجاء الخلاص والنجاة يظهر واضحًا وصريحًا فالحديث هنا عن المسيح إلهنا "غصن الرب" وعن الفرح والزينة والنجاة من الدينونة للذين كتبوا للحياة في أورشليم.

وكأن كلمات الإنذار في الأصحاح السابق تعتبر أقوى دافع للتوبة وللحياة مثل صوت يوحنا المعمدان الذي صار مهيئًا طريق الرب أمامه.

١. "فَتُمْسِكُ سَبعُ نساء برَجُل واحد في ذلك اليوم قائلاتٍ: نأكُل خُبزنا ونلبَس ثيابنا. ليُدع فقط اسمُك علينا. انزع عارنا".

هنا أوضح الروح القدس كيف تكون الحاجة ماسة جدًا وملحة للخلاص وكيف تكون النفوس متلهفة على المُخلِّص الرب الذي ينزع عارها ويستر خطاياها.

ويضع الروح القدس أمام أعيننا هذا المنظر المذهل بعد نهاية انكسار يهوذا وبلوغ منتهى الضعف... منظر سبع نساء أحسسن بالفراغ والضياع وأحسسن بالعار "بلا إثم" وأحسسن بالموت والعقم وعدم ثمر للحياة.

فأمسكن السبعة برجل واحد... ولم يطلبن أن يعولهن أو أن يهتم بثيابهن... فالأمر أخطر من طلبات واحتياجات... فهن محتاجات إلى شخصه فقط... قائلات انزع عارنا.

وهنا يكشف الروح القدس من خلال هذه الظروف الجسدية عوز النفوس وحاجتها إلى الرب يسوع ... وطلبها المُلح لكي يدعى اسمه عليها وينزع عارها وكيف لا يكون للنفس شهوة في لبس ثياب أو أكل خبز أو أي من هذه الأمور الخارجية ... ولكن النفوس تريد أن ترتبط باسمه وأن تدخل في حماه وتصير عروسًا له.

٢. "في ذلك اليوم يكون غُصْنُ الرب بهاءً ومجدًا، وثمَر الأرض فخرًا وزينةً للنَّاجين من إسرائيل".

بعدما وصف إشعياء حاجة النفوس إلى الخلاص وإلى من ينزع عارها.. بشر النفوس المنتظرة قائلاً: في ذلك اليوم يكون غصن الرب بهاء ومجدًا.

+ في ذلك اليوم:

أي عند تمام الوقت وعندما يجيء ملء الزمان... فاليوم المقصود هنا هو يوم ظهور مخلصنا الصالح غصن الرب ابن الله... ويوم استعلان بهاء مجده.

فيوم دخوله إلى العالم صار بهاء... ومجد الرب أضاء حول الرعاة البسطاء ومجد نجمه أضاء للمجوس الحكماء... ومجده أضاء عيني سمعان الشيخ فقال: "نور إعلان للأمم ومجدًا لشعبك إسرائيل"... وصار بهاء ومجدًا لكل الناجين المنتظرين فداء لإسرائيل.

وقد وصَفَهُ النبي أنه غصن الرب لأنه مولود من الآب قبل كل الدهور... وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته.

+ بهاءً ومجدًا وثمر الأرض فخرًا وزينة:

وعندما أخذ جسدنا وحمل طبيعتنا دُعيَ أيضًا ابن الإنسان فصار محسوبًا كثمر الأرض فهو غصن الرب وهو ثمر الأرض فهو بهاء ومجد القديسين وفخر وزينة النفوس التي ارتبطت به واتحدت بجسده... هنا أيضًا طبيعتنا بالمسيح تثمر ثمرًا للحياة الأبدية.

+ غصن الرب:

إن كلمة ناصرة[١] معناها "غصن" فالرب يسوع دُعيَ ناصريًا إشارة إلى كونه غصن الرب... وهو أصل وذرية داود... وهو الكرمة الحقيقية والكنيسة كلها أغصان

---

[١] **تعليق:** كلمة النصارى تطلق على أقباط مصر كنوع من التحقير ولكن في ذات الوقت بدون دراية من العالم هى دليل على بنوتنا لله واتحادنا بالناصري غصن الرب.

فيه "كل غصن فيَّ لا يأتي بثمر يقطع وكل ما يأتي بثمر ينقية ليأتي بثمر أكثر" لذلك كل من يتحد بالمسيح يُدعى أيضًا ناصريًا أي غصنًا... وليس غصنًا في زيتونة البشرية البرية ولكن مطعمًا في غصن الرب يسوع المسيح الكرمة الحقيقية...

٣. "ويكونُ أنّ الذي يبقى في صهيون والذي يُترَك في أورشليم، يُسمى قُدُّوسًا. كل مَن كُتِبَ للحياة في أورشليم".

قال الرب للتلاميذ: افرحوا بالحري أن أسماءكم مكتوبة في سفر الحياة في أورشليم العليا التي هى أمنا جميعًا (غل٤) ... وكل من كتب اسمه للحياة في أورشليم السمائية يسمى قدوسًا. لأن المدينة لا يدخلها شيء نجس أو دنس ولا كل من يصنع كذبًا وهؤلاء أيضًا قيل عنهم أنهم غسلوا ثيابهم وبيضوها في دم الخروف... وأيضًا أنهم لم يتنجسوا مع النساء فالقداسة هى سمة أولاد الله... وبدونها لن يرى أحد الرب.

وكل من كتب اسمه للحياة في الكنيسة يسمى قديسًا... فالمعمودية والميرون غسل وتقديس "اغتسلتم، بل تقدستم، بل تبررتم بِاسم الرب يسوع وبروح إلهنا" (١كو ٦: ١١).

فنحن كأعضاء في جسد الرب القدوس وممسوحين بروح القداسة لنا وصية من فم الرب "نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم قديسين في كل سيرة".

٤. إذا غَسَل السيد قَذَرَ بنات صهيون، ونقَّى دم أورشليم من وسطها بروح القضاء وبروح الإحراق".

وهنا يكشف الرب بجلاء ووضوح منقطعي النظير عن عمل الخلاص والتقديس لكي يستحق الإنسان البقاء بأورشليم ويكتب اسمه في سفر الحياة.

فالرب مُزمع أن يغسل قذر بنت صهيون ... يفسر حزقيال النبي بإيضاح قصة غسيل أورشليم وكيف دخل الرب مع النفس في عهد فصارت له (حز١٦).

فالغسيل بالماء هو المعمودية المقدسة... لا لإزالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح ... وهى غسل قذر النفس ودفن الإنسان العتيق. وهو قد غسلنا بدمه من

خطايانا ... وجرى من جنبه على الصليب ماء غسيل خطايانا ودم تطهير ونقاوة.

تأمل أيضًا كيف غسل الرب أرجل التلاميذ بعد العشاء مؤكدًا الاحتياج الدائم إلى التوبة التي هى غسل الأرجل للذين اغتسلوا بالمعمودية.

فالغسيل عملية مستمرة في حياة أولاد الله... اغسلني كثيرًا من إثمي.

+ نقي دم أورشليم من وسطها:

أورشليم تلوثت بالدم في وسطها ... ظلم وقتل ... لهذا وقف الرب يسوع قبالها باكيًا وقائلاً لها: "يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء"... وقد نقى الرب أورشليم من الدم عندما سفك دمه خلاصًا وغفرانًا ... وأحضر كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن ولا شيء مثل ذلك بل مقدسة في كل شيء.

+ بروح القضاء وروح الإحراق:

ترى ما هو روح القضاء الذي صار به تبريرًا وفداء وغسل لقذر خطايا صهيون؟

أليس هو دينونة الخطية بصليب ربنا يسوع الذي دان الخطية بالجسد... ألم يكن الإنسان واقعًا تحت حكم الموت بقضاء العدل الإلهي فقبل الرب أن يموت عن الجميع بل ويذوق الموت من أجل كل واحد ويشفع في المذنبين ... ألم يوف مطالب العدل الإلهي ... إذ وضع الرب عليه إثم جميعنا ووقف في الحكم كمذنب واحتمل الآلام كفاعل شر ... وهكذا محا الصك الذي علينا الذي كان ضدًا لنا وقد رفعه مسمرًا إياه بالصليب.

أما روح الاحتراق فهذا تفسيره الذبائح التي كانت تحرق أجسامها خارج الباب... بعد أن توضع عليها خطايا الشعب فيتطهر ضميرهم ولكنها لم تكن تقدس إلى التمام لأن دم تيوس لا يطهر الخطايا.

وقد جاز الرب عنا هذه المعصرة فلنخرج إليه حاملين عاره.

وقد يكون أيضًا روح الاحراق هو روح يوم الخمسين الناري الذي أحرق أشواك طبيعتنا وأضرم نار الحب الإلهي فينا.

٥. "يخلُق الرب على كل مكان من جبل صهيون وعلى مَحْفَلها سحابةً نهارًا، ودُخانًا ولمعان نار مُلتهبةٍ ليلاً، لأن على كل مجدٍ غِطاءً".

ماذا بعد التطهير والتقديس ودينونة الخطية بروح القضاء "روح الصليب" وروح الاحتراق "روح يوم الخمسين" ... ماذا بعدما غسل الرب خطايا كنيسته وأحضرها كنيسة مجيدة لا دنس فيها، ونقى دمها بسفك دمه الزكي ... لابد بعد ذلك من حضور دائم للمسيح المبارك في وسط كنيسته التي هى جسده وهذا الحضور يعبر عنه بوجود سحابة نهارًا ودخان ولمعان نار ملتهبة ليلاً وهذا معناه:

١. حضور إلهي مستمر في الكنيسة لأن اسمه عمانوئيل = الله معنا. وهذا الحضور لا يحده مكان إذ يقال "على كل مكان من جبل صهيون وعلى محفلها..." ومحفلها يشير إلى اجتماعات الكنيسة في كل زمان وكل مكان لأن الرب نفسه قال حيثما اجتمع اثنين أو ثلاثة باسمي هناك أكون في وسطهم.

٢. السحابة نهارًا وعمود النار ليلاً كانا في أيام خروج بني إسرائيل من أرض مصر لكي **يمشوا نهارًا وليلاً** وهذا يعني الحركة الدائمة نحو السماء والجهاد الذي لا يتوقف في السعي نحو الجعالة العليا.

٣. إن كلمة "يخلق الرب... سحابة ودخانًا... الخ" تشير إلى الفارق بين السحابة والدخان وهذه الأمور في القديم وبينهما في الجديد... إذ أن الأشياء العتيقة قد مضت وأن الكل قد صار جديدًا فهذه الأمور كلها روحيًا وهى متناسبة مع الخليقة الجديدة والإنسان الجديد وهى ليست أمورًا مادية مرئية بل روحية تدرك بإنساننا الجديد.

٤. أما قول الرب "لأن على كل مجد غطاء" فهذا يشير إلى أن مجد الكنيسة مجد مخفي... مجد سرائري لا يدركه أحد طالما البرقع موضوع... أما نحن فناظرون إلى الرب بوجه مكشوف... إن خيمة الاجتماع كان غطاؤها من جلود ماعز وتخس إشارة إلى غطاء المجد في الكنيسة في الأسرار.

+ مجد الكنيسة مخفي داخل غطاء الآلام وحمل الصليب كل يوم.

+ غطاء مجد الكنيسة هو ظل جناحي الله لأنه هو يظلل عليها ويستر

مجدها فيه.

+ تأمل كيف كان غطاء مجد الله في سر التجسد وهو في بطن العذراء القديسة والدة الإله... وهى أيضًا تحمله على ذراعيها وترضعه من لبن ثديها وتهرب به إلى مصر... إن أيام تجسد إلهنا امتلأت من غطاء المجد في غموض لذيذ صار سببًا في عباداتنا السرية العميقة وأوضحت لنا طريق الاتحاد بالله.

٦. وتكون مِظلَّةٌ للفيء نهارًا من الحرِّ، ولملجأ ولمخبأ من السَّيل ومن المَطر".

هذه هى الكنيسة وسط العالم بالنسبة لأولاد الله.

- مظلة.
- ملجأ ومخبأ.

ومخاطر العالم: ١- حر النهار. ٢- السيل والمطر.

- فالكنيسة في شكلها الرمزي القديم كانت عبارة عن خيمة في وسط صحراء وبرية قاحلة تمامًا... يتمنى المسافر في برية هذا العالم أن يدخل تحت سقفها هربًا من حر النهار القاتل... وظل الكنيسة هو ظل المسيح نفسه ونيره الخفيف الحلو... حيث تهرب النفس لتجد راحتها وحياتها مستترة مع المسيح في الله وهى تصرخ وتقول: "ثقل النهار وحره لم أحتمل من أجل ضعف بشريتي" [١].

+ إن بطرس الرسول اشتهى أن تكون ثلاث مظال على جبل التجلي من فرط لذته التي أثقلت حواسه برؤية مجد الرب وصحبة القديسين وتنازل الرب فظلَّله بسحابة نيرة ... فالكنيسة سحابة تظلل ولكن بدون ظلمة ... وتحمي من شمس العالم ولكنها في نهار دائم بسبب شمس البر يسوع المسيح.

---

[١] من صلاة الغروب.

⌖ ملجأ ومخبأ:

+ قال الرب: من يقبل إليَّ لا أخرجه خارجًا، ومكتوب أيضًا: شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني... إن الرب يخبئ كنيسته في حضنه ويجمع أولادها كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها.

+ والملجأ أيضًا هو المدينة التي كان يهرب إليها القاتل سهوًا فيعيش ولا يُطلب منه دم القتيل... والكنيسة أيضًا هى الملجأ الذي يهرب إليه الخاطئ فيحيا في اطمئنان بعيدًا عن الغضب الإلهي وحرًا من الدينونة والعقاب بالمسيح يسوع.

+ الكنيسة علمتنا أن نردد اسم الرب يسوع لأنه هو ملجأنا "اسم الرب برج حصين".

+ حقًا قال الرب عن الكنيسة "هلُمَّ يا شعبي ادخُل مخادعك، وأغلق أبوابك، واختبئ نحو لحيظة حتى يَعبُر الغضب". لأن الكنيسة هى ملجأنا ومخبأنا لأننا في داخلها ندخل إلى أحضان الله ونختبئ في صخر الدهور.

أما أخطار هذا العالم فهي:

أولاً: حر النهار: وهو ما قاله داود النبي في المزمور "الرب يظلل على يديك اليمنى فلا تحرقك الشمس بالنهار"... وعروس النشيد أيضًا تصرخ قائلة: "شمس التجارب قد لوّحتني" أنا سوداء...

وحر النهار عندما يصعد على الإنسان العالمي يحرق مجده وغناه مثل العشب كما يقول الرسول يعقوب.

ولكن إن احتمت النفس بالمسيح داخل الكنيسة فإنه يظلل عليها فلا تحرقها الشمس بالنهار ولا القمر بالليل.

فداخل الكنيسة شيء "ظل وفيء وراحة وسعادة" وخارجها شيء آخر "حر ويبوسة وهلاك".

ثانيًا: السيل والمطر: إن ما يهدد الإنسان السائر في العالم من مخاطر

لـيس فقـط حـر النهـار ويبوسـة القـيظ بـل أيضًـا الأمطـار والسـيول... والكنيسـة فـي هـذه الحالـة هـى فلـك نـوح.... المكـان الوحيـد للخـلاص مـن الدينونـة... إذ لا خــلاص خــارج الفلــك... لأن خارجًــا ســيول العــالم الجارفــة وتيــارات ولجــج الخطية المهلكة... الكنيسة يدخلها المختارون ويغلق عليهم الرب بيده فلا تجوز إليهم مياه العالم.

الأصحاح الخامس

١. "لأُنشِدَنَّ عن حبيبي نشيد مُحبِّي لكَرْمِهِ: كان لحبيبي كَرْمٌ على أكَمَةٍ خَصِبةٍ".

النشيد هو ما يكتب شعرًا للترنم به. والكتاب المقدس ملء بالأناشيد الروحية بل أن سفرًا بجملته يحمل اسم نشيد الأناشيد.

فالشعب الخارج من أرض مصر رنّم نشيد الخلاص بالدف مع موسى ومريم أخت هارون والنسوة حولهما يغنين.

ودبورة أيضًا أنشدت نشيد الانتصار عندما سقط سيسرا في يدها، وهكذا أيضًا داود النبي مرنم إسرائيل، وحبقوق النبي، وفي كل هذه كان الشعب من ناحيته يترنم ويسبح الرب.

أما هذا النشيد فهو مقدم من الحبيب ربنا يسوع المسيح الذي أحب كنيسته (كرمه) وهى بعد كامنة في الظلال.

ومختبئة وراء الرموز... نشيد الحبيب الذي أحبنا فضلاً وأحب إلى المنتهى... وأحب الخطاة وبذل نفسه فداء عنا نشيد محبوبي لكرمه.

هو إذًا نشيد حب المسيح المبارك ينشده إشعياء وكما تغنت عروس النشيد بحب حبيبها ينطق إشعياء نشيد الحبيب للكرمة المشتهاة.. ومحبة ربنا لكنيسته لا تعرف الحساب فهى تعطي إلى المنتهى وكلما أعطت تمجدت بالأكثر إذ ليس لأحد حب أعظم من هذا.

كان لحبيبي كَرْمٌ على أكَمَةٍ خَصِبةٍ.

هى إذًا قصة محبة قديمة مكتوبة في الأسفار الإلهية ومحفوظة في قلب إلهنا وإن كان الشعب قد نسى أو تناسى هذا الحب أو ابتعد بالقلب وراء آخر "إن قسم الرب هو شعبه... وجده في أرض قفر، وفي خلاء مستوحش خرب ... أحاط به ولاحظه وصانه كحدقة عينه" (تث ٣٢: ٩-١٠). فالرب الحبيب أخرج هذا الكرم من أرض العبودية بذراعه القوية من أرض القفر الروحي (مصر) ومن الخلاء المستوحش

الخرب (البرية) وأتى به إلى أكمة خصبة أرض كنعان. أرض تفيض لبنًا وعسلاً. أرض يعتني بها الرب الإله ويسقيها بمطر النعمة النازلة من فوق[١] "كرمة من مصر نقلت. طردت أممًا وغرستها. هيأت قدامها فأصلت أصولها فملأت الأرض" (مز ٨٠: ٨، ٩).

أكمة خصبة (مكان مرتفع خصب): فالرب رفع شعبه وحملهم على أجنحة النسور[٢] وهيأ لهم خصبًا ودسمًا في كل شيء "في مراع خضر يربضني"... أطعمهم المن النازل من السماء وأعطاهم الشريعة كغذاء روحي "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان"... "وجدت كلامك فأكلته".

ولكن نسى الشعب الأمور التي أبصرت عيناه ووُجد على أكمة عالية وتحت كل شجرة خضراء مضطجعًا في زناه متكلاً على ذاته. فتحول الارتفاع إلى كبرياء واستخدم عطايا الرب السخية في شهوات نفسه الباطلة.

٢. "فَنَقَبه ونقَّى حجارته وغرسهُ كرم سورق، وبنى بُرجًا في وسطه، ونَقَرَ فيه أيضًا معصرةً، فانتظر أن يصنع عنبًا فصنع عنبًا رديئًا".

التنقيب: "هو التفليح بنزع الشوك والحسك والأعشاب الغريبة".

+ قال الرب عن الشوك أنه: "هموم هذا العالم وغرور الغنى" (مر ٤: ١٩). والرب نزع هذا الشوك من حياة شعبه فهو بنفسه عالهم أربعين سنة بالمن من السماء وبالماء من الصخرة ولم يعوزهم شيء[٣]... ثيابهم لم تبل[٤] ونعالهم لم تتهرأ... والرب دائمًا يجنب كنيسته المحبوبة هذا السهم وينقيها من هذا الشوك "لا تهتموا بالغد"، "لا تهتموا بما تأكلون أو للجسد بما تلبسون"، "لأن اهتمام الجسد هو موت".

---

[١] تث ٣٢: ١.

[٢] مز ١٩: ٤.

[٣] تث ٢: ٧.

[٤] تث ٨: ٤.

+ والشوك أيضًا هو ثمرة الخطية "شوكًا وحسكًا تنبت لك الأرض" والرب الحبيب نقب هذا الشوك ونزعه عن كرمه المحبوبة... لقد غرس الشوك في جبين مخلصنا بالكلية.. وأخيرًا كسر شوكة الموت بقيامته "أين شوكتك يا موت".

+ والشوك والزوان أيضًا هم أولاد العالم ... زرع الإنسان العدو... والرب نزعهم من وسط الأرض وأحرقهم أمام شعبه.

"فاعلم اليوم أن الرب إلهك هو العابر أمامك نارًا آكلة. هو يُبيدُهم ويُذلُّهم أمامك" (تث ٩: ٣).

فبقوته الإلهية أهلك سيحون ملك الأموريين وعوج ملك باشان وكل الشعوب المعتبرة مخيفة ومؤذية كالشوك.

نقى حجارته:

+ أشار السيد الرب إلى الأرض الحجرية أنه ليس لها عمق أصل... سطحية، فالرب قال للشعب على فم حزقيال النبي: "أنزع قلب الحجر من لحمهم وأعطيهم قلب لحم" (حز ١١: ١٩).

+ والجيل الأول الخارج من مصر المعتبرون كحجارة من أجل قساوة قلوبهم وصلابة رقابهم... أماتهم الرب قبل أن يدخلوا كنعان.

+ لقد تمت فينا هذه المواعيد العظمى والثمينة إذ أكملها لنا الرب بتجسده فنقى حجارتنا... "أنتم أنقياء لسبب الكلام الذي كلمتكم به" وكسر شوكة الموت عنا.

وغرسه كرم سورق.

إن هذا النوع أفضل الكرم... فزرع الرب هو الزرع الجيد دائمًا.

والرب بفم إرميا يتعجب قائلاً: "أنا قد غرستك كرمة سورق، **زرع حق كلها**. فكيف تحوَّلت لي سروغ جفنة (كرمة) غريبة؟" (إر ٢: ٢١).

أليس كل شجرة تثمر ثمرًا كجنسها... ومن الشجرة تعرف الثمرة.

فالكرم المغروس هو زرع الحق نسل إبراهيم أب الآباء وأب الإيمان.

وذرية إسحق المولود بالوعد الذي فيه تتبارك جميع قبائل الأرض فكيف تحولت هذه الشجرة وأبدلت ثمرتها بثمرة غريبة ردية؟

وبنى برجًا في وسطه.

البرج هو خيمة الاجتماع وهو الهيكل.

+ وجود دائم لله في وسط الكرم "الله في وسطها فلن تتزعزع".

+ حراسة دائمة للكرم من الثعالب المفسدة.

+ رؤية للمستقبل البعيد بأنبياء في وسط الشعب بروح النبوة والإعلان.

+ دفاع دائم ضد هجمات الناس "قفوا وانظروا خلاص الرب"، "الرب يحارب عنكم وأنتم تصمتون".

ونقر فيه أيضًا معصرة.

جعل في الشعب تذكارًا دائمًا للذبيحة الإلهية وهيأه ذهنيًا لقبولها معصرة الذبائح الدموية التي أمر الرب بها... ذبيحة عن الخطية وذبيحة عن الإثم وأخرى للمحرقة والشكر... وهكذا. لعل كثرة الذبائح تثمر ثمرًا للتوبة وتنشئ تطهيرًا ونقاوة للضمير ورجاء للغفران الإلهي بالدم الذكي.

فانتظر أن يصنع عنبًا فصنع عنبًا رديئًا.

ينتظر الرب من أولاده ثمرًا "اصنعوا أثمارًا تليق بالتوبة"... كل شجرة لا تصنع ثمرًا تقطع وتلقى في النار... ولكن يتأنى وينتظر ولا يتعجل الثمار... ويستجيب لقول القائل: "أتركها هذه السنة أيضًا" لعلها تكون فرصة للتوبة واستبقاء الحياة فالرب لا يشاء موت الخاطئ مثلما يرجع وتحيا نفسه.

على هذا النحو كانت أناة ربنا تنتظر في أيام نوح... وهكذا أيضًا انتظر الرب ثمرًا من هذا الشعب أجيالاً كثيرة ولكنه سنة بعد سنة وجيلاً بعد جيل صنع **عنبًا رديًا** "لا يصلح بعد لشيء" مرارة تحت شفاههم "حنجرتهم قبر" وعندما يتراءى في الشعب أمام الله ويقدم هذا الثمر الرديء يقول الرب صاحب الكرم: "بدم عجول وخرفان

وتيوس ما أُسرُّ... لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة. البخور هو مكرهة لي... لست أُطيق الإثم والاعتكاف. حين تبسطون أيديكم أستر عينيَّ عنكم... أيديكم ملآنةٌ دمًا" (إش ١: ١١-١٥).

٣. "والآن يا سُكَّان أورشليم ورجال يهوذا، احكمُوا بيني وبين كَرْمي".

ربنا عجيب في كل شيء... حتى في عتابه مع شعبه وحكمه ودينونته لكرمه، فالرب طرح المثل أمام الشعب وعرفهم قصة حبه لكرمه وتعبه معه وكيف أثمر الكرم عنبًا رديًا والآن طلب الرب من الشعب أن يحكموا بأنفسهم على هذا الكرم أو بالحري يحكموا على أنفسهم.

وطريقة إلهنا أن يجعل النفس تكتشف خطيئتها ثم تحكم على نفسها فإن رجعت عن شرها خلصت وإن هى ظلت في بعدها هلكت.

+ هذا ما فعله الرب مع داود حين أخطأ خطيته. أرسل إليه الرب ناثان النبي وطرح أمامه مثل الرجل الغني الذي اغتصب غنمة الرجل الفقير... وحكم داود لنفسه هكذا. إن الرجل الذي فعل هذا موتًا يموت فقال له ناثان: أنت هو الرجل.

+ وهذا ما فعله الرب مع رؤساء الكهنة حين خاطبهم بمثل الكرامين الأردياء سألهم ماذا يفعل صاحب الكرم فهم قالوا: يأتي ويهلك الكرامين ويعطي الكرم لآخرين فقال لهم الرب: ملكوت الله يُنزع منكم ويعطى لأمة تصنع ثمرًا.

والآن بماذا يحكم رجال يهوذا في هذا المثل؟ وأي دينونة يستحقها هذا الكرم؟ وهم حين يحكموا... يحكموا على أنفسهم.

ولكن لا يغيب عن ذهننا أبدًا أن الرب ما طرح هذا المثل أمام الشعب إلا ليرجعوا عن طريقهم الردية ويرجعوا إلى الرب بالتوبة فيخلصوا من الدينونة العتيدة.

٤. "ماذا يُصنع أيضًا لكَرمي وأنا لم أصنعه له؟

لمـــــــــــــــاذا إذ انتظـــــــــــــــرتُ أن يَصـــــــــــــنع عنبًا، صنع عِنبًا رديئًا؟".

هنا تقف النفس عاجزة عن الكلام... لأن كل فم يستد!

فالرب في أعماله سخي وسخاؤه مُطلق... وليس بكيل يعطي الله الروح... ومحب ومحبته بلا حدود... ماذا يصنع أيضًا لهذا الكرم؟

والإنسان في الدينونة لا يستطيع أن ينسب لإلهنا تقصيرًا أو عجزًا ولكن العجز كله والتقصير كله واقع على عاتق الإنسان... فالرب لم يؤخر شيئًا ولم يستصعب صعبًا. من أجل خلاصنا. بل قد أحب إلى المنتهى وبذل إلى المنتهى. ولا يوجد ما يصنعه أكثر بعد أن بذل ابنه حبيبه عنا وبقى على النفس أن تتمتع وأن تثبت بل وأن تثمر... بالحقيقة لقد صنع الرب معنا أكثر مما نسأل أو نفهم.

لماذا إذ انتظرتُ أن يَصنع عنبًا، صنع عِنبًا رديئًا؟

+ هل من جواب على هذا السؤال؟ إننا لا نجد جوابًا إلا في ضمير الإنسان الذي يفحص ذاته ويعرف ضعفه... إن علة عدم الثمر ووجود ثمر رديء يعرفها الإنسان نفسه... قد يبرر الإنسان نفسه أمام الناس... ولكنه الآن أمام فاحص القلوب ومختبر الكلى... إذًا لماذا لم تثمر للحياة الأبدية؟ رغم إمكانيات النعمة وسخاء الروح القدس؟

وهذا السؤال يعطي فكرة عن الدينونة الأخيرة... قد لا تختلف كثيرًا عن هذا الموقف على أننا ندرك الآن أن هذا الكرم المثمر ثمرًا رديًا قد خيب أمل ربنا وخالف مشيئته... كم انتظر الرب منه ثمرًا... وكم تمنى لو أثمر ثمرًا مفرحًا تمامًا كالابن الفاشل يصير حزنًا لأبيه لأنه يخيب ظنه، كم تمنى الآب أن يكون ابنه ناجحًا ومثمرًا ولكنه في فشله يدعو إلى الأسف فالآن أعرفكم ماذا يصنع بكرمي.

لو حكمنا على أنفسنا لما حُكم علينا... لو أن الشعب المسكين انتبه إلى صوت الرب وإنذاراته، والتفت إلى كلمة الحياة وتحركوا بالتوبة ورجعوا كل واحد عن طريقه

الردية وعن الشر الذي في أيديهم وبكوا ولبسوا مسوح التوبة وتذللوا في الرماد، لارتفع قضاء الرب وارتد غضبه وندم الرب عن الشر كما فعل مع أهل نينوى ولكنهم إذ لم يحكموا على أنفسهم سمعوا القضاء من فم الرب القائل أعرفكم ماذا يصنع بكرمي.

٥. "فالآن أُعرِّفكُم ماذا أصنع بكَرمي: أنزعُ سياجَهُ فيصير للرَّعْي. أهدم جُدرانَهُ فيَصيرُ للدَّوس".

لقد اشتكى الشيطان قديمًا على أيوب البار قائلاً للرب: "أليس أنك سيَّجت حوله وحول بيته وحول كل ماله من كل ناحية؟" (أي ١: ١٠).

وقيل أيضًا: يعسكر ملاك الرب حول كل خائفيه وينجيهم.

وعروس النشيد تترنم هكذا "شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني".

آه ماذا لو نزع الرب هذا السياج؟

تأمل كيف صار حال أورشليم محزنًا يدعو إلى الرثاء عندما صارت أسوارها مهدمة وأبوابها محروقة بالنار حينما نزع الرب سياجها دخلها نبوخذ نصر وسبى أولادها عندما تتخلى العناية عن النفس ترى ماذا يكون حالها.

+ تصير النفس مفتوحة على العالم يدخل ويخرج ويرعى قطعان خنازيره داخل النفس بعد أن كانت مصونة.

+ قال الرب تكون أورشليم مدوسة من الإثم... إشارة إلى النجاسة بعد هدم جدران القداسة وحماية نعمة الله.

٦. "وأجعَلُهُ خرابًا لا يُقضَبُ ولا يُنقَبُ، فيَطلَعُ شَوكٌ وحَسَكٌ. وأوصي الغَيم أن لا يُمْطِرَ عليه مطرًا".

قال الرب لأورشليم الرافضة عريسها والمحتقرة حبيبها... وهو باكٍ عليها "هوذا بيتكم يترك لكم خرابًا" المخرب هو الشيطان إذا ما كنست النفس له بيتها وزينته يأخذ سبعة أرواح أُخر أشر منه، ويأتي ويسكن فتصير أواخر الإنسان أشرَّ من أوائله...

وعمل الخطية في النفس هو الفساد... لذلك قيل خذوا لنا الثعالب الصغيرة

المفسدة للكروم...

لا يقضب: كل ما يأتي بثمر ينقيه... هكذا تمتد يد النعمة لنزع كل حوات النفس لتأتي بثمر أكثر... ولكن إن صارت النفس بلا عناية وبلا تأديب تسقط فريسة في يد المهلك فتصير خرابًا.

ولا ينقب: التنقيب هو فحص النفس وهو من صميم عمل الروح القدس الذي يبكت على خطية وعلى بر وعلى دينونة.

هكذا إذ تصير النفس مبهورة من كل عمل للنعمة في الخارج "لا يقضب" وفي الداخل "لا ينقب" فيعمل فيها المخرب بفساد الخطية وثعالب الهلاك.

فيطلع شوكٌ وحسكٌ.

هذا الكرم الذي لم يثمر ثمرًا صالحًا لابد أن يثمر للخطية وللعالم شوكًا وحسكًا الذين رفضوا الرب ملكًا عليهم صاروا عبيدًا للذين يطيعونه... استعبدوا أنفسهم للشهوات ولرئيس هذا العالم، وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق. رفضوا التنقيب فطلع شوك وحسك خنق الكلمة فصارت بلا ثمر.

وأوصي الغَيم أن لا يُمْطِرَ عليه مطرًا.

إن قول الرب: "أوصي الغيم أن لا يمطر عليه مطرًا"... يعيد إلى ذهننا أيام إيليا النبي وآخاب ملك إسرائيل... كيف كان زمان آخاب مظلمًا ومملوء شرًا ومعاصي إيزابيل الرديئة أزاغت قلوب شعب الله حتى قال الرب بفم إيليا: لا يكون ظل ولا مطر... فلم تمطر السماء على الأرض ثلاث سنين وستة أشهر... حتى صار قحط شديد في كل مكان وذبلت كل نفس... ويبست من العطش كل قوة قادت الشعب إلى حافة الهلاك.

فإن كان الحال هكذا مع الحياة الزمنية والماء الأرضي... فكم يكون الحال محزنًا وأليمًا إذا امتنع مطر النعمة وتوقف سكب الروح القدس الذي هو ماء الحياة الأبدية.

لقد تذمر الشعب قديمًا على موسى في البرية عندما لم يكن ماء للشرب فصرخوا

قائلين: لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش. فإذا كان أصعب ما تصادفه النفس جسديًا هو العطش... فإن أقسى اختبار روحي تجوزه النفس هو حرمانها من النعمة ويبوستها الداخلية.

٧. "إنَّ كَرْم رب الجُنود هو بيت إسرائيل، وغَرس لذَّته رجال يهوذا. فانتظر حقًا فإذا سَفكُ دم، وعدلاً فإذا صُراخٌ".

كلمة الرب بسيطة في طبيعتها واضحة في مدلولاتها... ولكن عندما تتورط النفس في حمأة الخطية تظلم بصيرتها وتنفذ قدرتها على فهم الكلمة وعلى استيعاب معانيها فيتوسط الرب بمثل يكلم به النفس ثم يتنازل فيفسر المثل أيضًا.

وهذا ما أعلنه الرب للرسل الأطهار عندما طلبوا إليه أن يفسر لهم مثل الزارع فقال لهم: "لكم قد أعطى أن تعرفوا أسرار ملكوت الله، وأما للباقين فبأمثال، حتى إنهم مبصرين لا يبصرون، وسامعين لا يفهمون" (لو ٨: ١٠). وهنا نتأكد أن شعب إسرائيل ورجال يهوذا قد أمسكت أعينهم تمامًا عن النظر وثقلت آذانهم عن السمع بسبب كثرة تعدياتهم.

لهذا ابتدأ الرب بالتفسير قائلاً: إن كرم رب الجنود هو بيت إسرائيل وغرس لذاته رجال يهوذا... وأسلوب ربنا في التفسير هو بمثابة تجديد الدعوة للتوبة كمن يضع أمام النفس فرصة أخرى لعله يستميلها ويجتذبها بربط المحبة والرب يقول لبيت إسرائيل أنتم كرمي ولرجال يهوذا أنتم غرس لذتي.

فانتظر حقًا فإذا سَفكُ دم، وعدلاً فإذا صُراخٌ.

أن الثمر الشهي في نظر إلهنا هو الحق والعدل في حياة شعب الله وهذا ما يتناسب وطبيعة إلهنا الحق المطلق والصلاح المطلق... وهو مطلوب من أبناء الله الذي قال عنهم "ربيت بنين ونشأتهم".

ولكن الواقع المحزن هو ثمر الخطية المُر... سفك دم وصراخ وهنا نرى بُعد لا نهائي بين ما هو إلهي وما هو بشري.

بين ما هو مطلوب وما هو موجود وهذا ما كشفه الروح القدس أخيرًا

لحل هذا اللغز والعجز البشري معًا... إذا أن ناموس الخطية كان عاملاً في الإنسان يسبيه إلى الموت وثمر الموت... وتصارع الخير المطلوب والمشتهى مع الشر الحاضر أمام الطبيعة البشرية كواقع محزن واضطراري وثمر مملوء مرارة.

ولكن شكرًا لله أن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع أنقذنا من ناموس الخطية والموت.

إن الحق والعدل "الثمرة المطلوبة" هى ثمرة وجود الله في حياة الإنسان وليست ثمرة بشرية... لأن الطبيعة الساقطة لا تستطيع أن تثمر إلا ثمرًا كجنسها، وهذا يتحقق لنا باتحادنا بالمسيح فنثمر لله... الله هو العامل فيكم أما سفك الدم فهو الثمرة الأولى للخطية الأولى هو ثمر طبيعي للإنسان ما دام بعيدًا عن الله. أما ثمر الحياة الأبدية فهو أيضًا ثمر طبيعي لحياة الاتحاد بالله.

ويل للذين يَصِلون بيتًا ببيت: هنا استعرض النبي خطايا الشعب وثمرهم الرديء بأكثر تفصيل في سلسلة من الويلات وكشف عن عقاب الرب وما سيحل بهم وبسبب تركهم الرب واستهانتهم بقدوس إسرائيل.

٨. "ويلٌ للذين يَصِلون بيتًا ببيت، ويقرنونَ حقلاً بحقل، حتى لم يَبْقَ موضِعٌ. فصِرتُم تسكنون وحدكم في وسط الأرض".

١. ثمرة ملكوت الله.

لقد أخرج الرب هذا الشعب من مصر أرض العبودية وغرسه في أرض كنعان. أرض الميعاد رمز الكنيسة العتيدة وأورشليم السمائية والميراث الأبدي... وانتظر الرب أن يثمر الشعب في أرضه الجديدة ثمرًا يحقق التدبير الإلهي ويجذب البعيدين عن رعوية إسرائيل الأمم الذين بلا إلة ولكن للأسف خاب الشعب في أن يحقق القصد الإلهي أو أن يثمر لحساب ملكوت الله بل على العكس صنع عنبًا رديًا.

قال الرب: " لا تشتهِ بيت قريبك" (خر ٢٠: ١٧).

وانتظر الرب أن يرى ثمرة الوصية في شعبه فوجدهم يصلون بيتًا ببيت، وقال أيضًا: "تحب قريبك كنفسك".

وانتظر أن يرى ثمرة الوصية فوجدهم يسكنون وحدهم في وسط الأرض.

ينتظر الرب أن يكونوا نواة الملكوت الأبدي والحياة مع الله في ظل وصاياه فيهتموا بما فوق لا بما على الأرض... ويطلبون ملكوت الله وبره. ولكننا نرى مرارة حب الملكية الأرضية والطمع وعدم محبة القريب. ظلت هذه الثمرة الأرضية في حياة الشعب حتى ظهر ربنا يسوع في الجسد إذ وجدهم منشغلين بالملكوت الأرضي حتى تمثلوا المخلّص نفسه ملكًا أرضيًا... ولكن شكرًا لله لأنه عندما فشلت الكرمة القديمة أن تثمر لله أرسل الله ابنه مولودًا من العذراء – وكغصن الكرمة وأصلها الجديد وكابن الإنسان أثمر ما عجزت عنه الطبيعة البشرية كلها.

فما من قول أو تعليم للرب يسوع عن الملكوت الأرضي ولكن كل تعاليم الرب وأعماله انصبت على ملكوته السماوي فهو ملك حقيقي من المزود إلى أن ملك على خشبة الصليب ولكن مملكته ليست من هذا العالم وقد جعل هذه الثمرة الإلهية لحساب طبيعتنا حتى قال بفمه الطاهر ها ملكوت الله داخلكم.

٩. "في أُذُنَيَّ قال ربُّ الجنود: ألا إنَّ بيوتًا كثيرة تصير خرابًا. بيوتًا كبيرة وحَسَنةً بلا سَاكن".

تأمل ما قاله الرب بفم إيليا النبي لآخاب عندما اغتصب حقل نابوت اليزرعيلي. "هكذا قال الرب هل قتلت وورثت أيضًا؟... ثم كلّمه قائلاً: هكذا قال الرب: في المكان الذي لحست فيه الكلاب دم نابوت تلحس الكلاب دمك أنت أيضًا... هأنذا أجلب عليك شرًا، وأبيد نسلك، وأقطع لآخاب كل بائل بحائط ومحجوز ومُطلَق في إسرائيل (١ مل ٢١: ١٩-٢١).

وقد تم كلام الرب فقد قتل ياهو كل بيت آخاب وجميع الذين بقوا له في السامرة حتى أفناه الرب حسب كلام الرب الذي كلم به إيليا أن هذه البيوت لم تبق على عمق الحق أو على أساس صخر الدهور ولكنها بنيت على رمال الحياة السطحية والأطماع البشرية فلابد أن تسقط ويكون سقوطها عظيمًا حسب قول الرب الإله.

١٠. "لأن عشرةَ فدادين كَرم تَصنع بَثًا واحدًا، وحومر بذار يصنع إيفة".

البث: مكيال للسوائل = ٢٧,٥ كيلو جرام.

الحومر: مكيال للحبوب = ٢٨٣,٥ كيلو جرام.

الأيفة = $\frac{١}{١٠}$ الحومر.

ففدان الكرم يصنع ٢,٧٥ كيلو حُمر ومحصول البذار $\frac{١}{١٠}$ قيمة البذور. هذه دينونة وقعة على البيوت والحقول، فالبيوت تصير خربة وبلا ساكن والأرض لا تعطي ثمرها ولا قوتها للذين فلحت من أجلهم. لقد نضح الإنسان بخطاياه حتى على البيوت والحقول وصارت بصمات اللعنة على الأرض. أليس هذا هو كلام الرب نعم عبده موسى قبل أن يدخل أرض كنعان. إن كنتم مع ذلك لا تسمعون لي أزيد على تأديبكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم فأحطم فخار عزكم... وأرضكم لا تعطي تملقها وأشجار الأرض لا تعطي أثمارها.

١١. "ويلٌ للمُبكِّرين صباحًا يتْبَعونَ المُسْكِر، للمتأخِّرين في العتمَة تُلهبُهم الخَمر.

١٢. وصار العود والرَّبابُ والدُّف والنَّاي والخَمر ولائِمَهُم، وإلى فعل الرب لا ينظرون، وعمَل يدَيه لا يرونَ".

٢. ثمرة الفرح الروحي.

إن الثمرة الأولى للحياة في ملكوت الله ولعمل روحه القدوس في وسط شعبه هى الفرح الروحي لأن ثمر الروح هو "محبة – فرح – سلام" وهذا الفرح يرتكز على أساسات إيمانية مبهجة للنفس وهى كما يقول إشعياء فعل الرب وعمل يديه ولكنهم لا ينظرون ولا يرون ولكن ما هو فعل الرب وعمل يديه بالنسبة لهذا الشعب؟

ألم يخرجهم من أرض العبودية القاسية وكور الحديد ثم أعالهم في البرية المقفرة بالماء الحي من الصخرة والمن النازل من السماء إلى أن أوصلهم إلى أرض كنعان... وكم كرر الرب إحساناته أمام عيون الشعب ليدوموا في حياة الفرح بتذكارات ووصايا وأعياد وطقوس مملوءة فرحًا مبهجة وباعثة للسرور.

وانتظر الرب ثمر هذا الفرح في الشعب في أجياله كشهادة لعمل الله وقوة

للخلاص بذراع الرب ويده الممدودة.

ولكن ما أن دخل الشعب إلى أرض الموعد حتى تحولت أفراحهم إلى فجور ونشوتهم إلى سكر بالخمر الذي فيه الخلاعة وأبدلوا الثمر الحلو إلى أصل مرارة وصارت ثمارهم شاهدة على بعدهم عن مصدر الفرح الحقيقي. وبدل أن يفرحوا بالرب ويغنوا بتسبيحه ويسكروا من خمر حية انحطوا في المسرات العالمية المفسدة واستخدموا آلات التسبيح وإمكانيات النعمة "العود – الرباب – الدف – الناي" لكي يشبعوا شهواتهم ولكن بلا شبع.

وليس هكذا فقط بل رآهم إشعياء مبكرين صباحًا ومتأخرين في العتمة مترنحين في خمر نجاساتهم: أين كلام المزمور "يا الله إلهي إليك أبكر لأن نفسي عطشت إليك" أين كلام نشيد الأنشاد التي تطلب الخير الحقيقي في الليل تبحث عنه في كل مكان لتشبع بحبه.

١٣. "لذلك سُبيَ شَعبي لعَدَم المَعرفة، وتَصير شرفاؤه رجال جوع، وعامَّتُه يابسين من العَطش".

سبيَ شعبي:

+ قد يكون هذا إشارة إلى السبي الذي حدث بعد ذلك عندما هوجمت مملكة إسرائيل ثم مملكة يهوذا وسبيَ الجميع إلى بابل جزاء تركهم للرب واستهانتهم بإله يعقوب وانجرافهم وراء شهواتهم الردية وإثمارهم للخطية.

+ وقد يكون سبي الشعب في فخاخ الشياطين ورباطات الخطية وقيود الجسد وهذا أمر محزن لأن سبي النفس وعبوديتها مذلة لا تقاس بجانبها مذلة الجسد، وغربة النفس بعيدًا عن إلهها لا تكفيها ينابيع دموع كثيرة وعلة سبي الشعب هو الجهل وعدم المعرفة. فصار الشعب كمن يسلك في الظلمة وظلال الموت فلا يعرف أين يمضي لأن الظلمة أعمت عينيه مثل أورشليم التي قال لها الرب لست تعلمين ما هو لخلاصك ولكنه قد أخفى عن عينيك. أليس بسبب عدم المعرفة كادت تهلك مدينة نينوى بأثرها إذ قيل عنهم لا يعرفون شمالهم من يمينهم – وكما قيل أيضًا عن الذين صلبوا الرب عن جهل وعدم معرفته بلاهوته "لأنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد"

لذلك صارت عدم المعرفة أصل كل انحراف وسبب كل ثمرة ردية في حياة هذا الشعب حتى صاروا رجال جوع وعطش ويابسين من النعمة لأن المتغرب عن حضن الآب يكون دائمًا أنا هنا أهلك جوعًا والذي يشرب من ماء مسرات العالم يعطش أيضًا أما الذي يقتني معرفة الله يفضل عنه الخبز وتجري من بطنه أنهار ماء حي.

١٤. "لذلك وسَّعت الهاوية نفسها، وفغَرت فاها بلا حدٍّ، فينزل بهاؤها وجمهورها وضجيجُها والمبتهج فيها!".

لقد رأى إشعياء النبي نهاية الباب الواسع الذي يسير فيه هذا الشعب والطريق الرحب الذي اختاروه دون الحياة مع إلههم وإتباعهم طرقه السفلى، فإذا الباب الواسع باب الهاوية ونهاية كل أمورهم منحدرة بلا حد إلى الهلاك.

أين البيوت الطينية التي انشغلوا بها. أين الحقول التي اشتروها. أين المبكرين صباحًا يبتاعون المسكر. أين الحفلات والولائم والابتهاج. كل هذه الأمور ستنزل بهم إلى الهاوية مثل الغني الذي مات ورفع عينيه وإذ هو في الهاوية، ومثل فضة سيمون الذي قال له الرسول: "ولتكن فضتك معك للهلاك"، ومثل ذلك الغني الغبي الذي قال له الرب اليوم تطلب نفسك منك فالذي أعددته لمن يكون؟ أليست هذه خبرة سليمان التي تركها للأجيال كلها عند زوال أباطيل العالم ونهاية المسرات التي تحت السماء "باطل الأباطيل الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس" ولم يصنع هذا بالشعب قديمًا عندما جلسوا للأكل ثم قاموا للَّعِب واللحم مازال في فمهم، ضربهم ملاك الرب وهلك في هذا اليوم ثلاثة وعشرين ألفًا.

وهكذا العبد البطال أيضًا ابتدأ يأكل ويشرب ويسكر فيأتي سيده في اليوم الذي لا يعرفه وفي الساعة التي لا يتوقعها فيشقه من وسطه ويجعل نصيبه مع عديمي الإيمان.

١٥. "ويُذل الإنسان ويُحط الرَّجل، وعيون المُستعلين توضع.

١٦. ويتعالى رب الجنود بالعَدْل، ويتقدَّس الإله القدوس بالبرِّ".

هنا يكشف الرب أيضًا أصل الخطية وبذور الشر في قلب هذا الشعب وهو

الكبرياء... كم طرحت هذه الخطية كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء... حقًا ما قيل عن الله أن من يسلك بالكبرياء فهو قادر على أن يذله. يذل ويحط الإنسان وتوضع العيون المتشامخة.

اذكروا نبوخذ نصر... اذكروا هيرودس... اذكروا الكبرياء التي أسقطت الشيطان وطردت جنسنا من الحضرة الإلهية.

ما أجمل تسبحة العذراء القديسة أنزل الأعزاء عن الكراسي ورفع المتضعين. وقد قيل أن الله يقاوم المستكبرين أما المتضعين فيعطيهم نعمة، فتواضعوا تحت يد الله القدير فيرفعكم في زمان الافتقاد. أما الإله القدوس رب الجنود فهو يتمجد ويرتفع ويتقدس في دينونة الخطية ويظهر عدله الإلهي وقداسته المطلقة وبره ... هكذا قال داود في المزمور: "لكي تتبرر أنت في كلامك وتغلب متى حوكمت أنا".

١٧. "وترعَى الخِرفان حيثما تُساق، وخِرَب السِّمان تأكُلها الغرباء".

ومما يعزي النفس جدًا أنه في وسط مناظر الخراب وأحكام الرب على فجور الشعب وفيما ينخفض الإنسان وينحط وتوضع تشامخ عين الإنسان في التراب في وسط المذلة والمهانة هذه تطلع إشعياء فرأى قطيع خراف يرعى حيثما يساق.

وهذا القطيع الصغير هو بقية شاهدة للرب تابعة لوصاياه خاضعة لناموسه والقطيع يسوقه الرب إلى مراع خضر وماء راحة بلا عائق. وقد قيل عن نبوخذ نصر عندما سبى الشعب إلى بابل أنه ترك في الأرض مساكينها ... وقد حسب هؤلاء المساكين أهلاً أن يستبقوا في أورشليم وأن لا يذوقوا طعم السبي والتغرب عن الرب وهيكله المقدس...

أمَّا سمان الأغنياء والمخصبين فيأكلها الغرباء... وتصير خرابًا شاهدًا عليهم.

١٨. "ويلٌ للجاذبينَ الإثم بحبَال البُطل، والخطية كأنه برُبُط العَجلَةِ".

٣. ثمرة الحرية الروحية.

عصا المسخر ونير العبودية حطمها الرب بقوة وأنقذ منها شعبه الحبيب فكسر فرعون (المشبه بإبليس) وأغرقه أمام عيون الشعب في البحر الأحمر (رمز المعمودية) وتمجد الرب بالمجد ورنم الشعب تسابيح النصرة والخلاص التي صارت أنشودة لنفوس المفديين في الكنيسة إلى أبد الدهور، وقال الرب كما رأيتم فرعون في هذا اليوم لا تعودون ترونه أيضًا... وانطلق الشعب بعد البحر الأحمر (المعمودية) لكي يتمتعوا بالحرية من بعد العبودية وانتهت إلى الأبد أصوات المسخر وأعمال الطين التي ترمز إلى قيود الخطية وسلطان الجسد والآن إن رجع الشعب وسقط تحت قيود الخطية وحبالها ألا تحسب أنه أثمر ثمرًا رديًا؟

إن الأمر الذي يتعجب له أن قلب الشعب ظل مرتبطًا بحبال الباطل رابطًا نفسه بالخطية كحيوان مربوط إلى عجلة تدفعه وهو ساقط تحت نيرها مغلوبًا على أمره وظل عائشًا كل زمانه تحت الخوف... فالقلوب مرتبطة بشهوات قدور والظهور المنحنية تحت عصا المسخر رفضت أن تنتصب فتعودت الإنحناء والعبودية. هكذا صار الشعب يبحث عن الخطية يربط نفسه بها يلتزم بعجلتها، ويستحق الويل واللعنات المكتوبة في الناموس.

وقال اليهود للرب: لن نستعبد لأحد قط، قال لهم الرب: من يفعل الخطية فهو عبد للخطية، ثم قال لهم: إن حرركم الابن صرتم بالحقيقة أحرارًا.

توجد نفس مربوطة مقيدة تجاهد من أجل حريتها تصرخ قائلة: "رباطات الخطاة التفت عليَّ" وتتضرع إلى الرب قائلة: "الرب يحل المربوطين ويقيم الساقطين"، وإذا ما نالت بالرجاء حريتها تغني قائلة: "نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين"... "حللت قيودي فلك أذبح ذبيحة التسبيح"، أما هذا الشعب المهوب ففي حريته طلب قيود الخطية وحبال الباطل وربط نفسه بعجلتها.

١٩. "القائلين: ليُسرع، ليُعجِّل عمله لكي نرى، وليقرُب ويأت مقصَد قدوس إسرائيل لنعلَم".

إن استمرار الخطية والتمادي في عمل الشر بلا وخز في الضمير وحركة في

الروح أو انتفاضة للتوبة سببها دائمًا قلب الإنسان كما يقول المزمور: "قال الجاهل في قلبه ليس إله".

ثم عدم الإيمان والاستخفاف بمواعيد الرب الإله وهذا ما يعلنه الروح القدس بفم معلمنا بطرس الرسول "سيأتي في آخر الأيام قوم مستهزئون سالكين بحسب شهوات أنفسهم وقائلين أين هو موعد مجيئه؟".

وهذا يدفع الناس إلى الاستهانة بلطف الله وإمهاله وطول أناته ثم يقول الرسول بولس الأمر الحقيقي أن لطف الله يجب أن يقود النفس للتوبة والرجوع إلى أحضان الرب.

٢٠. "ويلٌ للقائلين للشر خيرًا وللخير شرًا، الجاعلين الظلام نورًا والنور ظلامًا، الجاعلين المُرَّ حلوًا والحلو مُرًا".

٤. ثمرة الحق.

هذا الويل منصب على الذين يحجزون الحق بالإثم... نفوس باعت ذواتها لعمل الشر... حتى أصبحت هلاك إثم وآنية هوان... أحبو الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة وصاروا وكأن الشر والظلام والمر أمورًا طبيعية ومقبولة عندهم أما الخير والحلو فأمور قد صارت غريبة عنهم وغير مقبولة في حياتهم.

والحقيقية أن الذي يميّز بين الشر والخير والظلام والنور والمر والحلو في حياة الإنسان هى الكلمة الإلهية والناموس... فكلام الله مصباح للرجل ونور للسبيل إعلان أقوالك ينير لي ويفهم الأطفال الصغار إذا اقتناه الإنسان لا يمشي في الظلمة وإن عدمه لا يعلم أين يمضي لأن الظلمة أعمت عينيه.

الخير والنور والحلاوة الروحية هى شر وظلام ومرارة. بالنسبة للجسديين العفة والطهارة يقولون عنها تزمت وكبت. الأمور المختصة بالله والملكوت والقيامة يقولون سنسمع عن هذا أيضًا. اذكر كيف كان حكم جماعة اليهود وهم في هذه الحالة المؤسفة كيف حكموا على رب المجد وهو كائن في وسطهم وهو النور الحقيقي والخير المطلق والحلاوة اللانهائية والعذوبة الدائمة.

قالوا عن حكمته الإلهية إنه مجنون ومختل العقل. قالوا عن مشاركته لنا في كل

شيء هوذا إنسان أكول وشريب خمر.

قالوا عن صانع الخيرات نحن نعلم أنه إنسان خاطئ. قالوا عن المنقذ والمخلص الإلهي أنه مضل.

حكموا على رب الحياة بالموت فاستحقوا كل الويلات المكتوبة في الكتاب.

٢١. "ويلٌ للحكماء في أعين أنفُسهم، والفُهماء عند ذواتهم".

٥. ثمرة الخطية.

هذه علة أخرى من علل الخطايا التي تملكت على هذا الشعب علة الحكمة البشرية والغرور والثقة بالذات البشرية... حتى صاروا حكماء في أعين أنفسهم ولم يدركوا أنه ليس من يمدحه الناس هو المزكى بل الذي مدحه من الله.

+ إن إبراهيم أب الآباء في عمق إيمانه واتصاله بالله لم يكن يعتز بنفسه ولا يثق في حكمته بل كان يقول أنه تراب ورماد.

+ وداود أيضًا الذي كان له قلب بحسب مشيئة الله كان يقول دائمًا: أما أنا فمسكين وفقير، ولم يحسب نفسه حكيمًا بل كان يردد: حقير أنا ومرذول، ويقول إعلان أقوالك ينير لي ويفهم الأطفال الصغار فكان يحسب نفسه كطفل صغير مسكين وبائس.

+ وسليمان الحكيم نفسه طلب من الله حكمة لأنه كان يعتقد أنه لا يعرف كيف يدخل ويخرج أمام الشعب.

+ بل وبولس الرسول يقول أن الله أختار جهال العالم ليخزي بهم الحكماء وقال أيضًا إن كان أحد يظن أنه حكيم فليصير جاهلاً لكي يصير حكيمًا.

أما هذا الشعب فبلغت بهم الثقة في حكمتهم البشرية أن وثقوا كل واحد في نفسه وفي حكمته بينما هم في هذه الحكمة لم يعرفوا الله فاستحسن الله أن يخلص المؤمنون بجهالة الكرازة.

إن الحكمة الإلهية هى ثمرة مطلوبة في حياة هذا الشعب الذي أؤتمن على أقوال الله فإن أثمر حكمة بشرية فقد أبدل حلاوة الحكمة الإلهية بمرارة الحكمة البشرية وأبدل ثمر الروح في الحكمة المكتومة إلى حكمة هذا العالم

الزائل.

٢٢. "ويلٌ للأبطال على شُرب الخَمر، ولذوي القُدرة على مَزج المُسكر.

٢٣. الذين يبرِّرون الشرير من أجل الرُّشوة، وأمَّا حق الصِّدِّيقين فينزعونه منهم".

٦. ثمرة الإيمان.

لقد قيل عن الآباء الأولين أنهم كانوا أبطالاً في الإيمان وأشداء مقتدرين في فعلهم.. ويقول الرسول بولس أنه يعوزني الوقت أن أخبرك عن جدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل والأنبياء الذين بالإيمان قهروا ممالك صنعوا برًا نالوا مواعيد سدوا أفواه أسود هؤلاء حقًا يقال عنهم أبطال الإيمان وأبطال في حروب الرب الروحية وأبطال في الاتضاع وأبطال في المحبة... الخ.

أما رؤساء هذا الشعب فقد صاروا أبطالاً على شرب الخمر وذوي قدرة على مزج المسكر وإبطال شر وإبطال خطية، من أجل هذا أظلمت عقولهم وانطفأت مصابيح بصيرتهم عن قول الرب: "مبرئ المذنب ومذنب البريء كلاهما مكرهة"... وأحبوا أجرة الإثم مثل بلعام ومالت قلوبهم نحو الرشوة فعوجوا القضاء فبرروا الشرير من أجل الرشوة أما حق الصديقين فنزعوه عنهم.

ولكن من هو ربنا من أجل شقاء المساكين وتنهد البائسين الآن أقوم يقول الرب أصنع الخلاص علانية. إن الرب لا يترك عصا الخطاة تستقر على نصيب الصديقين.

٢٤. "لذلك كما يأكُل لهيب النار القشَّ، ويهبط الحشيش المُلتَهب، يكون أصلهم كالعفونة، ويصعد زهرهم كالغُبَار، لأنهم رذَلوا شريعة رب الجنود، واستهانوا بكلام قدوس إسرائيل".

القضاء الإلهي

هنا يعود إشعياء النبي فيكرر عبارات القضاء الإلهي في مسامع هذا الشعب المتمرد ويردد مرة أخرى السبب الرئيسي لكل الويلات أنهم رذلوا شريعة رب الجنود واستهانوا بكلام قدوس إسرائيل.

وهو يصور لهم مصير الشعب المحزن أنه سيكون مثل شجرة تعفنت أصولها "لأن الخطية دخلت إلى أعماقها"... وصار زهرها (مجدها) كالغبار ومثل العاصفة التي تزريها الريح كما يقول المزمور فجفت ويبست من أصولها وأخيرًا التهمتها نيران الغضب الإلهي.

+ أليس هذا هو كلام الرب بفم يوحنا المعمدان "كل شجرة لا تصنع ثمرًا جيدًا تقطع وتلقي في النار" (مت ٣: ١٠).

+ بل أن هذا ما قاله الرب: "إن كان أحد لا يثبت فيَّ يطرح خارجًا كالغصن، فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار، فيحترق" (يو ١٥: ٦). ثم من هو الإنسان حتى يُذكر؟ أو ابن الإنسان حتى يثبت أمام دينونة الله وغضب قدوس إسرائيل!

ما أجمل كلمات يعقوب الرسول "الشمس أشرقت بالحر فيبست العشب فسقط زهره وفنى جمال مظهره هكذا يزبل الغني في طرقه".

فإن كان العشب لا يستطيع أن يصمد أمام حر الشمس فكم يكون الحال مع لهيب النار الإلهي أن هذا التشبيه يعطي فكرة أيضًا عن سرعة هلاك الأشرار مثل التهاب القش.

٢٥. "من أجل ذلك حَمِيَ غَضَب الرب على شعْبه، ومدَّ يدَه عليه وضرَبَهُ، حتى ارتعَدَت الجبال وصارت جُثَثهم كالزِّبل في الأزقَّة. مع كل هذا لم يرتَدَّ غَضَبه، بل يده ممدُودةٌ بعد".

هنا يكشف لنا الوحي الإلهي عن طبيعة إلهنا الغيور على مجده والمنتقمة من الأشرار كديان الأرض كلها.

فهم حين كانوا في موضع الابن الخاضع حظوا من الرب باليد العزيز والذراع الممدودة واستعلنت ذراع الرب ذراع القوة "يمين الرب رفعتني".

وأخرجهم من أرض العبودية بيد قوية وهداهم بيمينه إلى كنعان وأطعمهم بيده خبز السماء وعلى ذراعيه حملهم كما على أجنحة النسور ومن يستطيع أن يحصي كثرة المراحم في امتداد يد إلهنا نحو شعبه طول النهار "مددت يدي طول النهار".

أما الآن فقد رذل الشريعة واستهان بكلام قدوس إسرائيل فامتدت يد الرب للضرب والتأديب نحو شعبه لأنه أي ابن لا يؤدبه أبوه وكم من مرة قيل فيها حمى غضب الرب... ومن جراء انحدار الإنسان وتمسكه بالشر وعناده وقساوة قلبه ولكن الذي يجذب انتباهنا ما نقرأه أيضًا أن ربنا من أجل مراحمه وكثرة رأفته يرجع عن حمو غضبه ويندم على الشر عند أول توبة أو رجوع من ناحية الإنسان وعند أول حركة ندم أو دموع أو استعطاف ويكفي أن تشير إلى استعطافات موسى ودموع داود وصلاة حزقيا وتوبة أهل نينوى.

أما هنا فإننا نرى أنه بالرغم من حمو غضب إلهنا... وبرغم لهيب النار وارتعاد الجبال وطرح جثث القتلى كالذبل في الأزقة لم توجد في الشعب ولا حركة توبة ولا بادرة أمل في الرجوع عن طرقهم الرديئة ولا علامة اتضاع ولا اعتراف بالخطية والعصيان أمام الرب ولا تذلل بالصوم والصلاة ولا مسوح... ومثل ابن عاق معاند واقع تحت عصا تأديب أبيه يظل يضربه حتى يذكر عناده ولا ترتفع يد أبيه إلا بصراخ الندم وعهود التوبة واستعطافات الابن... هكذا يكون مع هذا الشعب سيظل يضرب ويؤدب ويعاقب حتى يرجع عن عناد قلبه الشرير لذلك قيل "لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد".

(تأديب أقسى وعقاب أشد)

لم يصلح مع هذا الشعب تأديبات يد الله الحنون لذلك سيسلمهم ليد الأمم لقد أدرك داود النبي هول الوقوع في يد الناس فصرخ قائلاً: "فلنسقط في يد الرب لأن مراحمه كثيرة ولا أسقط في يد إنسان" (٢ صم ٢٤: ١٤).

٢٦. "فيرفع رايةً للأمم من بعيد، ويصْفِرُ لهم من أقصى الأرض، فإذا هُم بالعَجَلة يأتون سريعًا".

وهذا معناه أن الله بيده سيسلم شعبه للأمم للعقاب وسيسلم أورشليم للدوس والهدم والحريق فهو بيده سيشير للأمم للدخول وبصوته يصفر لهم للهجوم وهنا يظهر بوضوح أن الأمم لا تستطيع أن تقترب من أورشليم ولا تستطيع أن تمسها إلا بسماح من ضابط الكل...

وما أبعد الفارق بين تجربة يقع فيها الإنسان في يد العدو وهو محاط بعناية القدير ومؤازرة الروح القدس فنخرج من التجربة كالذهب المصفى بالنار كثير الكرامة مثل أيوب الذي بسماح من الله وقع في يد العدو ولكن في مؤازرة النعمة وعدم تخلي الله جاز التجربة وبارك الله آخرة أيوب أكثر من أولها أما إذا وقعت النفس في يد العدو وهى في حالة تخلي ومرفوضة من الله كم يكون سقوطها عظيمًا.

وهنا يبدو واضحًا أن الرب نفسه هو الذي يستدعي العدو ويسلم الشعب في قبضة للعقاب والتأديب فأي رجاء يكون لهم وأي حال يكون عليه هذا الشعب المسكين وقد تركته الرحمة وتخلت عنه النعمة وفقد الرجاء في الله.

أما من جهة الأمم فهم الآن في يد الله... بهم يؤدب بقضيب الناس وضربات بني آدم... أو كما يقول بولس الرسول عن الحكام من الناس... أنه لا يحمل السيف عبثًا بل هو خادم الله مرسل للانتقام من فاعل الشر وللمدح لفاعل الخير.

إذًا هم آلات يستخدمها الله... لذلك يقال عنهم فإذا هم بالعجلة يأتون سريعًا "لأن كل الخليقة خاضعة لله ومنفذة إرادته عند سماع صوت كلامه.

+ أما في عهد النعمة فإن سمح الله بوقوع النفس في يد أعدائها فلكي تخلص الروح ولكي تتزكى أمام الله "يسلم للشيطان لهلاك الجسد لكي تخلص الروح في يوم ربنا يسوع المسيح".

هنا لا يوجد غضب ولا تخلي بل تزكية إيمان وخلاص للنفس.

٢٧. "ليس فيهم رازحٌ ولا عاثرٌ. لا ينعَسُونَ ولا ينامون، ولا تنحلُّ حُزُم أحقائهم، ولا تنقطع سُيور أحذيتهم.

٢٨. الذين سِهامُهم مسنونةٌ، وجميع قِسيِّهم ممدودةٌ. حوافر خَيلهم

تُحسَب كالصّوان، وبَكَرَاتُهُم كالزّوبعة.

٢٩. لهم زَمجَرة كاللَّبوة، ويُزَمجرُون كالشِّبل، ويهرُّون ويمسِكون الفريسة ويستخلصونها ولا مُنقِذ.

٣٠. يهرُّون عليهم في ذلك اليوم كهَدِير البحر. فإن نُظِرَ إلى الأرض فهوذا ظلام الضِّيق، والنور قد أظلَم بسُحُبها".

هذه أوصاف جيش أشور المزمع أن يهجم على أورشليم وعلى أولادها، كم هى حقًا أوصاف مخيفة ومرعبة وإن تأملنا تفاصيل أوصاف هذا الجيش نندهش كأنه مجهز خصيصًا للانتقام من خطايا الشعب وكأنه حقًا سيف دينونة وعصا تأديب يرفعها الرب.

١. ليس فيهم رازح ولا عاثر للانتقام من الذين تعثروا في طريق الرب وأهملوا طرقه وتعوجت مسالكهم وسقطوا في حفر الشر.

٢. لا ينعسون ولا ينامون... للانتقام ودينونة الكسالى كما يقول الرسول عن الأشرار غير الساهرين يفاجئهم اليوم بغتة ويأتي عليهم يوم الرب كلص وكالمخاض للحبلى فلا ينجون.

٣. لا تنحل حزم أحقائهم ولا تنقطع سيور أحذيتهم... للانتقام من المتراخين الذين أهملوا وصايا الرب القائل "لتكن أحقاؤكم ممنطقة" أي متشددين في عمل الرب وقائمين في الخدمة الإلهية.

٤. سهامه مسنونة وجميع قسيهم ممدودة... يأتون كعقاب للذين ألقوا سلاحهم الروحي وألقوا ترس الإيمان القادر أن يطفئ جميع سهام الشرير الملتهبة نارًا... هؤلاء الذين لم يتدربوا في الحرب الروحية يسقطون في فخ المحارب ويموتون بسهامه القتالة.

٥. حوافر خيلهم تحسب كالصوان وبكراتهم كالزوبعة... إن هذا التغير يشير إلى السرعة وهؤلاء يأتون لدينونة البطيئي القلوب في الإيمان والعاجزين عن الحركة نحو الله الذين شلت أعضاؤهم الخطية وربطتهم قيودها ... فيهجم عليهم العدو بسرعة مخيفة وليس لهم قدرة على الهرب.

٦. لهم زمجرة كاللبوة ويزمجرون كالشبل ويهرون ويمسكون الفريسة ويستخلصونها ولا منقذ... هؤلاء يأتون لمعاقبة الذين تركوا الراعي الصالح واستهانوا برعايته ولم يرضوا أن يقبلوه ... فيأتي عليهم المفترس وليس من ينقذ.

فإن نظر إلى الأرض فهوذا ظلام الضيق والنور قد أظلم بسحبها اختفى النور وحل الظلام. ظلام الضيق ... حجب الرب وجهه فصار ظلام الأرض كلها وليس ظلام أقسى من ظلام الضيق الذي يصيب النفس في داخلها... ولكن شكرًا لله الذي قال أن يشرق نور من ظلمة وهو الذي أضاء في قلوبنا لمعرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح.

الأصحاح السادس

١. "في سنة وفاة عُـزِّيا المَلِكِ، رأيتُ السيد جالسًا على كرسيٍّ عالٍ ومُرتفع، وأذيالُه تملأ الهيكل".

عزيا الملك: (عزيا معناه الرب قوته ... أو الرب معينه).

نقرأ عن حياة عزيا الملك مكتوبة في أخبار الأيام الثاني أصحاح ٢٦.

أنه ملك على يهوذا وهو ابن ١٦ سنة وملك ٥٢ سنة وعمل المستقيم في عيني الرب... وكان يطلب الرب في أيام زكريا الفاهم بمناظر الله وفي أيام طلبه الرب أنجحه الله، حارب الفلسطينيين، هدم أسوارًا، بنى مدنًا، امتد اسمه إلى مدخل مصر لأنه تشدد جدًا، بنى أبراجًا في أورشليم وأبراجًا في البرية وحفر آبارًا كثيرة وكان له ثروة كبيرة وجيش من المقاتلين.

ولكنه عندما تشدد ارتفع قلبه إلى الهلاك وخان الرب وأراد أن يوقد على مذبح البخور فضربه الرب بالبرص وهو في الهيكل فطرده الكهنة... وكان أبرصًا إلى يوم وفاته وهو معزول في بيت بعيد عن بيت الملك.

أحزان إشعياء:

بقلب الخادم الملتهب تابع إشعياء النبي عمل الله في حياة عزيا وبعيني النبوة شاهد يد الرب تمتد لتنجح الطريق وتبني المدن وتهدم أسوار الخطية... فكانت هذه الأمور سبب تعزية في حياة إشعياء كلما رأى عمل الرب ينمو يومًا فيوم... ولا يفرح قلب الخادم أكثر من أن يرى الرب الإله يعمل وملكوته يمتد... ثم كانت النهاية الأسيفة التي انتهى إليها الإنسان عزيا في ارتفاع قلبه وخيانته للرب... ثم موته وهو في هذه الحالة معزولاً عن شعب الله مطرودًا من هيكله المقدس.

لقد صار لإشعياء حزن على حزن... فهو ناظر إلى الشعب منطرح كغنم لا راعي لها بإحساس عميق كمن يترجى الراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن الخراف ومن ناحية أخرى كأن كلمات المزمور: "لا تتكلموا على الرؤساء ولا على بني البشر الذين ليس عندهم خلاص تخرج روحهم

فيعودون إلى ترابهم" كأن كلمات هذا المزمور تكشف عن حقيقة الإنسان الحزينة والمحزنة في نفس الوقت وإشعياء بالروح يعيش هذه المأساة في وجع القلب، ثم تفاضلت نعمة ربنا جدًا وعزاه بالرؤيا تعزية ليست بقليلة.

الرؤيا في الهيكل:

لابد أن إشعياء كان يتخلف إلى الهيكل كثيرًا في هذه الأيام الحزينة... يطلب عزاء لنفسه وسندًا لشعبه وتدبيرًا للملك... ولابد أن نفسه المنحنية داخله كانت تقصد الهيكل تجاه المذبح الذي يجدد شبابها ومن المؤكد أن إشعياء رأى رؤياه في غير أوقات الصلاة الرسمية في الهيكل وهو منفرد وحده ومنحصر في الروح ولا شك أن استفسارات كثيرة كانت تجول في خاطر إشعياء النبي وهناك في الهيكل وجد جوابًا شافيًا وحلاً إلهيًا فائقًا للعقل البشري بالرؤيا الإلهية أن هذا يرسم منهجًا واضحًا للخدمة في محنتها عندما تدفع الخادم للوجود المنفرد مع إلهه في هيكله المقدس يطرح أمام الرب ضيقه قائلاً: "أبث لديه ضيقي عند فناء روحي مني". ويسأله عن أحكام عدله وعمل محبته وأسرار تدابيره... ويأخذ لنفسه عونًا من حيث يأتي العون.

تعزيات الله: رأيت السيد:

"عند كثرة همومي في داخلي تعزياتك يارب تلذذ نفسي"، "الله الذي يعزي المتضعين عزانا". "يعزينا في كل ضيقتنا"... لم يترك الله نفس إشعياء الأمينة والغيورة هكذا بدون تعزية، لأن في محبته لنا يشرق بوجهه على أولاده عندما يتوجعون بوجع المسيح الخادم المتألم. وما من مرة تألم خادم بهذا الوجع المقدس إلا وانسكبت أحشاء مراحم إلهنا وتعزياته بغزارة النعمة التي لا توسع... فموسى وهو متفكر في آلام إخوته وضيقتهم وسخرتهم في أرض الغربة تراءى له الرب في العليقة.

وإيليا وهو أيضًا متألم بوجع شديد من أجل الشعب السائر وراء البعل ظهر له الرب في صوت خفيف معزي ... وأيضًا بولس الرسول المنطرح

علـى بـاب مدينـة لسـترة مضـروبًا حتـى المـوت اختطـف إلـى السـماء الثالثـة ... ويوحنـا المنفـي مـن أجـل شـهادة المسـيح صـار فـي الـروح فـي يـوم الـرب ورأى رؤيـاه الإلهية العجيبة.

أسرار الهيكل:

إن تعزيات الهيكل ينبوع سري للخدام يشربون من مياه الفرح بلا شبع... وليس من السهل أن يتكلم إشعياء النبي عن رؤياه في الهيكل ما لم يلزمه الروح... لهذا جاءت كتابة هذه الرؤيا في الأصحاح السادس. وأمور بولس الرسول ما كان أحد يعرفها لولا أن الروح - من أجل بنيان الكنيسة - ألزمه أن يكتبها إلى أهل كورنثوس ... ويوحنـا مـا كـان ليكتـب رؤيـاه لـو لـم يقـل لـه الـروح اكتـب. والخـادم إن افتخر فيفتخر بأمور ضعفه ولكن مناظر الرب وإعلاناته تبقى ذخيرة داخلية تغذي وتقوي الإنسان الباطن أو يكشفها الروح في حياة القديسين بقدر ما يخفيها عن أعين الناس... الروح القدس هو المسئول عن إظهار عمل مجد الله في حياة أولاده.

الرؤيا أساس للكرازة:

لا تقوم شهادة للرب بدون رؤيا واضحة لمجده... فالرب استعلن لموسى في البرية وعرفه باسمه وأعطاه عربون العمل الخلاصي والتلاميذ الأطهار أظهر الرب لهم ذاته بعد قيامته وأراهم يديه ورجليه... وتوما أيضًا ما كان ليتحرك للكرازة والشهادة ما لم يضع يديه في جنبه... وستبقى رؤية الله هى الدافع الحقيقي الوحيد للكرازة والشهادة بالذي رأيناه بعيوننا... ونحن كل يوم عندما نتناول من جسد الرب ودمه نبشر بموته ونتعرف بقيامته... على هذا القياس تراءى الرب لإشعياء الإنجيلي الشاهد لآلام المسيح والمخبر بموته وقيامته وعمله وكنيسته الباقية إلى أبد الدهور.

في سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالسًا على كرسي عال مرتفع وأذياله تملأ الهيكل...

الهيكل مكان استعلان الله: "أذياله تملأ الهيكل":

الهيكل مكان الصلاة... وبالصلاة وحدها يعلن الله ذاته للإنسان... في حالة الصلاة ظهر الرب بمجد على جبل التجلي للتلاميذ... ويوحنا الحبيب في يوم الرب (يوم الأحد) وفي حالة صلاة روحية استعلنت له أيضًا رؤياه الإلهية... وفي كل يوم نتواجد في الهيكل في الكنيسة حول جسد المسيح المكسور ودمه المسفوك نكون في مكان الاستعلان الإلهي والمجد المستور "لأن على كل مجد غطاء".

على كرسي عال ومرتفع:

الرب عال ومرتفع وعظيم في كل شيء... فهو ارتفع فوق السموات وهو عال في أفكاره كما علت السماء عن الأرض هكذا علت أفكار الله عن أفكارنا وطرقه عن طرقنا.. وهو مرتفع عن الإدراك البشري فلا يدرك أحد كماله الإلهي... ومرتفع في حكمته وكل تدابيره...

ولكنه ناظر إلى المتواضعين... وإلى المنسحق الروح والمرتعد من كلامه... والقلب المنكسر والمتواضع لا يرذله الله... وهو يقاوم المستكبرين أما المتواضعين فيعيطهم نعمة.

فربنا مرتفع وعال وهو قريب من المتضعين لأن اتضاع إلهنا لا نهائي جعله ينزل من ارتفاعه إلى أحشاء البتول وحتى التراب والموت والجحيم لكي يرفعنا إليه. فربنا يسوع نزل من ارتفاعه إلى تواضعنا وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات.

فارتفاع الله ليس حسب قياس الناس حين يرتفعون يترفعون ويتعالون ولكن الرب عال ويعاين المتواضعين والكائنات يعرفها من بعد.

٢. "السّرافيم واقفون فوقه، لكل واحدٍ ستة أجنحَة، باثنين يُغطي وجهَه، وباثنين يُغطي رِجلَيه، وباثنين يطيرُ".

السرافيم هم خدام العرش الإلهي هم المتقدون بالحب... نار الحب الإلهي هى الطاقة التي تحركهم بلا انقطاع وبلا تعب وبلا سكوت... "جعل ملائكته أرواحًا وخدامه نارًا متقدة" الخدام حول المذبح يخدمون الرب خدمة سرافيمية، الكهنة

والشمامسة يتقدون بالحب كجمر النار كلما يقتربون للجسد المذبوح بالحب والدم المهرق في بذل الحب الإلهي الفائق "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد"... الخدمة نتيجة حتمية للوجود في حضرة الله... وخدمة السرافيم خدمة التسبيح الكنسي للجالس فوق عرش الصليب العالي في الحكمة والقدير في الخلاص.

ستة أجنحة:

باثنين يغطي وجهه ... من أجل عظمة بهاء مجد الله غير المنظور ولا منطوق به وباثنين يغطي رجليه في اتضاع ووقار أمام الإله المخوف وباثنين يطير "سبحوه يا جميع ملائكته الصانعين إرادته عند سماع صوته".

تسبحة السّرافيم:

٣. "وهذا نادى ذاك وقال: قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رب الجنود. مجدُه ملء كل الأرض".

الكنيسة بيت الله وموضع مسكن مجده... وصدى صوت التسبيح يتردد في جنباتها بلا انقطاع لأنها بيت الملائكة. وخوارس المرتلين والمسبحين فيها تثير في النفس رهبة سمائية وتجعل النفس تقول بالحقيقة "إذا ما وقفنا في هيكلك المقدس نحسب كأننا واقفين في السماء".

وفي تقليد الكنيسة أن يوسف الذي من الرامة ونيقوديموس الرجلان البارّان اللذان اهتما بجسد الرب بعد نزوله من على الصليب سمعا هذه التسبحة وهما يضعان الحنوط على جسد الرب قبلما وضعاه في القبر...

وقد ضمنت الكنيسة هذه التسبحة الملائكية في جميع صلاواتها بلا استثناء... فتسبحة الصلوات الليلية والنهارية بالمزامير "الأجبية" تردد تسبحة السّرافيم في كل ساعة... وأيضًا تقال الثلاثة تقديسات قبل إنجيل القداس.

وفي صلاة التقديس يرددها الشعب قائلين السّرافيم يسبحونك قائلين: "قدوس قدوس..." ويرددها الكاهن بعد ذلك...، إن غذاء الكنيسة هو التسبيح ولذتها وعزاءها في القداسة التي في الله.

وعندما تقدم الكنيسة جسد المسيح يصرخ الكاهن "القدسات للقديسين" لذلك حري بالذين يسبحون تسبحة التقديس مع السّرافيم أن يلتحفوا بالقداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب.

رب الجنود مجده ملء كل الأرض:

ما أجمل أن تنطق السّرافيم بمجد رب الجنود المالئ كل الأرض... فمجد ربنا لا يملأ السموات والخليقة النورانية فحسب ولكن الأرض أيضًا موطئ قدميه وأذيال رحمته ومحبته تملأ الهيكل الأرضي أيضًا فيصير سماء... ومجد الرب إلهنا في التي على الأرض أوضح من الشمس في وسط النهار حتى أن قدرته السرمدية ولاهوته يدرك تلقائيًا بالتأمل في المخلوقات كما يقول معلمنا بولس الرسول في الرسالة إلى رومية، ولكن بالأكثر ملأ مجده كل الأرض حينما نزل إلى بطن البتول وولد في مزود ومشى على الأرض كإنسان... فامتلأت الأرض من مجده الإلهي... وعندما أعطى جسده ودمه للإنسان الترابي وأعطى روحه القدوس للهياكل الأرضية صار بالحقيقة مجده ملء كل "جسد" ملء كل الأرض.

٤. "فاهتزَّت أساسات العَتَب من صوت الصارخ، وامتلأ البيت دُخانًا".

عندما حل الرب بمجده فوق الجبل في أيام موسى الكليم صار الجبل يرتعد ويرتجف حتى استعفى بنو إسرائيل من مواجهة الرب قائلين لموسى تكلم أنت مع الله وهنا أيضًا نجد أن صوت الملاك الصارخ بالتسبيح هز أساسات عتب الهيكل. وبعدها اهتزت الأرض الضعيفة في العبادة الشكلية ومعها اهتزت نفس إشعياء في داخله. إن هذه الزلزلة تحدث دائمًا عندما يعلن ملاك الله عن الحق الإلهي، فملاك القيامة عندما جاء ليدحرج الحجر ويعلن أن الرب قام بمجد عظيم حدثت زلزلة عظيمة ومن خوفه ارتعد الحراس.

امتلأ البيت دخانًا:

لم تكن الرؤيا واضحة مكشوفة أمام إشعياء النبي بسبب هذا الدخان الذي ملأ كل البيت وهذا يتناسب جدًا مع حالة الإنسان في العهد القديم. إذ يحتاج إلى البرقع الموضوع حينما يتواجد مع بريق مجد الله حتى على وجه موسى الزائل.

أما الآن فنحن ننظر إلى الرب بوجه مكشوف وبدل سحابة الدخان التي تحجب نظر الإنسان صارت سحابة نيرة تظلل، وإلحاح إنسان العهد الجديد يصرخ قائلاً: "يارب جيد أن نكون ههنا".

٥. "فقُلتُ: يلٌ لي! إني هَلكتُ، لأني إنسانٌ نَجسُ الشَّفتَين، وأنا سَاكِنٌ بين شعب نجس الشَّفتين، لأن عينيَّ قد رأتا المَلك رب الجنود".

نحن الآن أمام مواجهة مع الله... الإنسان في حقارته وشقاوته أمام الله الحي النار الآكلة... لا يستطيع إنسان أن يراني ويعيش... فعندما تتواجه مع الله قارن البعد بين قداسته الإلهية ونجاسة طبيعتنا يصبح واضحًا أمام أعيننا.

إن الذي يجعل القديسين يشعرون بعمق حالة الخطية ليس هو التفكير في خطاياهم وفحص ذواتهم بأكثر تدقيق بل مجرد رؤية قداسة الله تجعل الإنسان يعيش حقيقته في عمق الاتضاع وحقارة التراب.

عندما تكلم إبراهيم أبونا مع الله نطق قائلاً: "شرعت أن أكلم المولى وأنا تراب ورماد" وعندما يقترب الكاهن من المذبح ليقف في مواجهة الله يقول: "أيها الرب العارف قلب كل واحد... ليس لي وجه لكي اقترب وأفتح فاي". إن مواجهة الله الحي في كل مرة في الصلاة أو القداس أو باقي الأسرار هو بمعنى دينونة أخيرة فيها يمتحن الإنسان وعمل الإنسان كما بنار.

ترى كيف نواجه الله في المخدع! أو في الكنيسة أو في الهيكل أو في مخدع القلب؟

إن عنصر مخافة الرب في الصلاة يعتبر أساسيًا للذين يسجدون بالروح والحق، فيسلكون في حضرة الرب غير المنظور كما لو كانوا في حضرته منظورًا بالعيان فتنطبع عبادتهم ذهنيًا وجسديًا بشكل إشعياء ومخافة موسى واتضاع إبراهيم وعبادة داود وخدمة السّرافيم وسهر العذارى.

نجس الشفتين:

ما الذي أثار في إشعياء إحساسه بنجاسة شفتيه في هذه اللحظات؟ لابد أن تسبيح السرافيم حرك قلب إشعياء بالتوبة والنظر إلى نفسه! إيه أيتها النفس المسكينة أين أنت في صلاتك وتسبيحك ووقوفك أمام خالقك وخدمتك من خدمة الخدام الروحانيين ومصاف الملائكة؟ ماذا يقول الخدام حول المذبح عندما ينطقون بالتسبيح أمام العرس الإلهي؟

إن اكتشاف الوجود في حضرة الله يضع الإنسان مباشرة في مواجهة نفسه مثل بطرس الرسول عندما اكتشف وجود الرب في سفينة عند صيد السمك صرخ قائلاً: اخرج من سفينتي يارب فإني رجل خاطئ...

وساكن وسط شعب نجس الشفتين:

مجتمع السّرافيم كم هو مفرح ومشبع بالقداسة... جمهور الجند السمائي في حالة انسجام كامل... هذا ما جعل إشعياء ينظر إلى خلف أيضًا إلى مجتمعه البشري وطبيعته الضعيفة الساقطة؟

شعب نجس الشفتين:

وجدير أيضًا بخادم مثل إشعياء النبي أن يعترف أمام الله ليس بنجاسة شفتيه وخطيته الشخصية فقط بل أيضًا يتراءى أمام الله معترفًا بخطيئة شعبه مثل نحميا الذي كان يعترف أمام إله السماء قائلاً: أخطأت أنا وبيت آبائي.

لأن عيني قد رأتا الملك رب الجنود.

لا يراني الإنسان ويعيش... هذه حقيقة أعلنها الله وعاشتها أجيال العهد القديم

كلها... لأنه أية شركة للنور مع الظلمة؟ هذا ما ردده إشعياء قائلاً ويل لي لأني هلكت لأن عيني رأتا الملك؟

ما أكثر عزاؤنا عندما نتأمل هذا الإله "الملك رب الجنود" وقد أخلى ذاته وصار مرئيًا وملموسًا "رأينا مجده" "رأيناه بعيوننا وسمعناه" لمسته أيدينا.

٦. "فطار إليَّ واحدٌ من السَّرافيم وبيَده جمرَةٌ قد أخذَها بملقَطٍ من على المذبح".

هنا يتضح عمق الحب الملائكي لجنسنا... وفي كل مرة ينطرح الضعف الإنساني أمام مجد الله العظيم يتوسط ملاك للخدمة ويقيم الإنسان المتهالك... يا لعمق هذه المحبة في الأرواح المرسلة للخدمة للعتيدين أن يرثوا الخلاص...

فالملاك يقيم دانيال وهو مسبخ على وجهه ومنطرح ويقيم يوحنا الرائي ممسكًا بيده عندما سقط على وجهه من فرط بهاء الرؤيا. أنه حنان ملائكي وعطف روحاني عجيب...

ونحن نقرأ كيف كانت الملائكة تقوي الشهداء في أيام تعذيبهم وضعف جسدهم.

٧. "ومَسَّ بها فمي وقال: إن هذه قد مَسَّت شفتَيك، فانتُزع إثمك، وكُفِّرَ عن خطيّتك".

إننا ندخل مباشرة إلى التعبير الكنسي عن هذه الجمرة المطهرة ففي صلاة القسمة التي يقولها الكاهن وهو يقسم جسد المسيح يقول: "وكما طهرت شفتي عبدك إشعياء النبي إذ أخذ أحد السّرافيم جمرة بالملقط من على المذبح وطرحها في فيه وقال له إن هذه لمست شفتيك ترفع آثامك وتطهر من جميع خطاياك. هكذا نحن أيضًا الضعفاء الخطاة عبيدك الطالبين رحمتك تفضل طهر أنفسنا وأجسادنا وقلوبنا وأعطنا هذه الجمرة الحقيقية المعطية الحياة للنفس والجسد والروح التي هى الجسد المقدس والدم الكريم اللذان لمسيحك" قسمة قداس القديس كيرلس.

وفي صلاة أخرى للقسمة أيضًا يقول الكاهن: "لأني تقدمت للمس جسدك ودمك لشوقي في محبتك. فلا تحرقني بهما يا جابلي بل أحرق كافة الأشواك الخانقة

لنفسي".

فالكنيسة ترى بوضوح أن هذه الجمرة الملتهبة والمطهرة للخطايا هى جسد المسيح المكسور بالحب عن خطايا العالم كله.

الجسد المحيي الذي جعله الرب واحدًا مع لاهوته الذي حملته العذراء المجمرة الذهب في بطنها بالروح القدس الناري.

وهذه الجمرة لفم إشعياء:

+ تطهر وتقدس ولا تحرق مثل نار العليقة المشتعلة ولا تحترق.

+ تضرم نار الحب في القلب فيشتاق للبذل والتضحية.

+ تطلق اللسان بكلام الحق مثل ألسنة النار التي حلت على التلاميذ يوم الخمسين.

+ أنارت بصيرة إشعياء لاستعلان الحق الإلهي وألهبت قلبه بغيرة متأججة نحو مقادس الله وشعبه "غيرة بيتك أكلتني" (مز ٦٩: ٩).

+ ونحن نتأمل كيف أسلم إشعياء النبي فمه للنار المطهرة بدون تحفظ وهو في حالة الصلاة داخل الهيكل ونحن نحتاج إلى هذا التسليم في كل وقفة في الهيكل أمام جمر النار (جسد المسيح)... فما لم نكن مستعدين لتسليم شفاهنا وأعضاءنا النجسة لهذه النار الممحصة بلا شروط سوف تحرقنا هذه النار...

+ إن هذه الجمرة المستعدة للتطهير بقدرة إلهية فائقة يلزمها شعور بالعوز والاحتياج... إنها مستعدة لمس الشفتيْن إن اعترف صاحبها "أنا نجس الشفتين". فالنعمة تتنازل حيث فقر الإنسان ونجاسة شفتيه لتطهر إثمه وتنزع خطيته. فالتناول من الجسد يسبقه اعتراف بنجاسة القلب وعدم الاستحقاق.

٨. "ثم سَمِعتُ صوت السيد قائلاً: من أُرسل؟ ومن يذهب من أجلنا؟ فقُلت: هأنذا أرسلني".

ما كان لإشعياء النبي أن يسمع صوت الرب أو يجاوبه قبل أن ينتزع إثمه ويطهر من خطيته بلمس الجمرة المطهرة. لأن سماع صوت الرب يحتاج دائمًا

إلى أذن مهيئة ومختونة وتحتاج إلى خلع الحذاء قبل أن يتلاقى مع الرب ويسمع صوته ... لابد للإنسان أن يكون في حالة قداسة لأنه بدون القداسة لن يرى أحد الرب.

لقد قال الرب لموسى من العليقة هلم لأرسلك والآن يقول لإشعياء من أرسل؟ ومن يذهب لأجلنا؟... قد ينادي الرب واحدًا مثل موسى أو مثل لاوي بدعوة صريحة وصوت واضح ليرسله ... وفي مرات أخرى يضع الرب أمام الخادم حاجة الخدمة وإلزامها... قد يقول الرب "الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون". وهذا معناه أن الرب ينتظر من يجاوب قائلاً: "**هأنذا فأرسلني**" أو يقول مع صموئيل "هأنذا لأنك دعوتني".

من أرسل ومن يذهب لأجلنا؟

بهذا السؤال يبدو إلهنا وكأنه محتاج إلينا؟ كأنه يقول دائمًا... من أرسل ليخبر بمحبتي ويظهرها... من أرسل ليتعب ويتألم من أجلي؟ من أرسل ليكون رائحتي الذكية ورسالتي المقروءة؟... وهكذا.

ونرى أن النفس التي تقدست بجمرة الحب تجاوب الرب ببساطة القلب "هأنذا فأرسلني" هكذا تجاوب بلا تحفظ ولا شروط. هأنذا فأرسلني إلى أي مكان وإلى أي أحد وبأي وسيلة وفي أي زمان وبأي رسالة...

ولكننا عرفنا الطبيعة البشرية دائمًا تحب أن تأخذ وتخاف أن تعطي أو تبذل... تقبل الكرامة وتهرب من صليب الخدمة وتبعاتها... فكيف ينطق إشعياء بهذه الطاعة المطلقة "هأنذا فأرسلني"!؟ إن عمل النعمة هو التغيير الفائق للطبيعة فالوقوف في الهيكل ورؤية الله وسماع التسبيح الملائكي ولمس الجمرة الإلهية صار في إشعياء قوة غالبة للطبيعة البشرية بكل ضعفها... لذلك أيضًا قال الرب للتلاميذ: "لا تبرحوا أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالي".

ففي كل مرة ندخل الهيكل وننظر جسد الرب ونسبح مع الملائكة وننال من جسد المسيح نحصل على نعمة فائقة وننمو في كل شيء ونتغير من ضعف إلى قوة ومن شك إلى عمق إيمان ومن خوف إلى شجاعة تواجه الموت بفرح...

٩. "فقال: اذهب وقُل لهذا الشعب: اسمعوا سَمعًا ولا تفهموا، وأبصروا إبصارًا ولا تعرفُوا".

يارب من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب.

إن السيد الرب قد وضع كلامه في فم إشعياء وهو مزمع أن يتكلم به بالكلام وبالمثل وبالآيات. ولكن كلام السيد ليس له مكان في قلب هذا الشعب فهم سيسمعون من فم إشعياء عن تجسد ابن الله ومجيئه إلى العالم وخلاص الله للشعوب وتعبه وآلامه وموته عنا ولكن لا يفهمون. ويبصرون ما يفعله الله بإشعياء مع جيش سنحاريب ولكن لعدم المعرفة لا يفهمون أيضًا.

إن اسطفانوس رئيس الشمامسة تكلم أيضًا بكلمة هذه الحياة أمام رؤساء اليهود ولكنهم سمعوا سمعًا ولم يفهموا ونظروا وجهه كوجه ملاك ولم يعرفوا، وحقًا قال عنهم اسطفانوس أنهم "غير مختونين بالقلوب والآذان".

١٠. "غَلِّظ قلب هذا الشعب وثقِّل أُذنيه واطمُس عينيه، لئلا يُبصِر بعينَيه ويسمَع بأُذنَيه ويفهم بقلبه، ويرجع فيُشفَي".

وربنا يسوع المسيح نفسه وهو يفسر مثل الزارع للرسل الأطهار قال "أعطي أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات أما أولئك فلم يعط...!! من أجل هذا أكلمهم بأمثال لأنهم مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون قد تمت فيهم نبوة إشعياء القائلة: تسمعون سمعًا ... غمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا... ويرجعوا فاشفيهم" ولكن طوبى لعيونكم لأنها تبصر، ولآذانكم لأنها تسمع" (مت ١٣: ١٦).

وقد كلّم الرب تلميذي يوحنا "اذهبا وأعلما يوحنا بما رأيتما وسمعتما: العميان يبصرون والخرس يتكلمون... وطوبى لمن لا يعثر فيَّ". الله يعمل بصفة مستمرة ويتكلم مع الإنسان بلا انقطاع قائلاً: "افتح لي" ولكن ماذا ينفع هذا مع نفس أغلقت على نفسها وصوتها من الداخل يقول "خلعت ثوبي، فكيف ألبسه؟ قد غسلت رجليَّ، فكيف أوسِّخهُما" (نش ٥: ٣).

وهنا نشير إلى الدينونة التي تحل بالإنسان عندما يسمع سمعًا ولا يفهم فتصير كلمة الله بلا ثمر "كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين فقط خادعين نفوسكم".

١١. "فقُلت: إلى متى أيها السيد؟ فقال: إلى أن تصير المُدن خربة بلا ساكن، والبيوت بلا إنسان، وتخرَب الأرض وتُقفِر".

١٢. "ويُبعد الرب الإنسان، ويكْثُر الخرَاب في وسط الأرض".

فقلت إلى متى:

إلى متى يارب تصير حالة الشعب محزنة هكذا؟ إلى متى يكون لهم آذانًا ولا يسمعوا؟ ولهم عيون ولا يبصروا؟ إلى متى يارب تنسانا حتى متى تصرف وجهك عنا؟

وإشعياء يسأل كمنتظر النجاة ومتلهف على خلاص الله. لا يستطيع إشعياء أن يرى شعبه منطرحًا بعيدًا عن إلهه ولا يطيق أن يتطلع إليهم كشجرة يابسة خالية من ثمر... هذه الأحاسيس المباركة دفعت إشعياء النبي أن يسأل إلى متى؟ كمن يستعطف الله... إلى متى يظل شعبك كمجنون أعمى وأخرس؟... وكأن إشعياء يذكر الله بمواعيده بخلاصه الأبدي... "هل إلى الأبد تغضب علينا؟ أو تواصل رجزك إلى الأبد؟" وجدير بنا أن نردد بروح إشعياء هذا السؤال أمام إلهنا كل واحد على نفسه وعلى خدمته وعلى كنيسته وعلى شعبه.

إلى متى؟ إلى متى تظل نفسي عقيمة يارب إلى متى اسمع سمعًا ولا أفهم وأبصر إبصارًا ولا أعرف؟ إلى متى أغلظ قلبي وأقفل أذني واطمس عيني؟ إلى متى أظل متغربًا عن حبك بعيدًا عن سماع صوتك. أنت يارب تعود وتحيينا وشعبك يفرح بك.

فقال إلى أن تصير المدن خربة بلا ساكن والبيوت بلا إنسان وتخرب الأرض وتقفر: *(هذه نبوة عن السبي).*

الذي كان وشيك الحدوث. فقد هجم الجيش الأشوري بقيادة سنحاريب وحاصر

أورشليم ولكن الرب أنقذها في اللحظة الأخيرة... ثم عاد ملك بابل وهجم عليها واقتحمها وأحرق المدينة كلها بالنار وسبى جميع بنيها إلى بابل فصار كلام الرب لإشعياء، صارت المدن خربة بلا ساكن والبيوت بلا إنسان وخربت الأرض ولم تعد تصلح لزراعة بل صارت قفرًا.

لا شك أن هذا الجواب يمزق قلب إشعياء النبي مثل نحميا الذي سمع عن أورشليم وهو في السبي أن أسوار المدينة مهدمة وأبوابها محروقة بالنار فجلس على الأرض فناح وبكى وصلى وصام أيامًا...

فإشعياء يرى كل ما سمعه نحميا قائمًا كأنه حاصل في الحال. كيف أسلم الشعب إلى ذهن مرفوض؟ فإن كانت الخطية صنعت هكذا جسديًا وماديًا في الإنسان كم يكون علينا روحيًا؟ وإن كان هكذا المنظر الخارجي يبدو مفسدًا وخربًا فماذا يكون الداخلي؟

وإن كان هذا هو سبي الإنسان وسلطانه فكم يكون سبي العدو الشرير الحية القديمة الذي كان من البدء قتالاً للناس.

١٣. "وإن بقي فيها عُشرٌ بعد، فيعود ويصير للخراب، ولكن كالبُطمة والبَلُّوطة، التي وإن قُطعت فلها ساقٌ، يكون ساقه زرعًا مُقدَّسًا".

إلهنا هو إله الهزيع الرابع ... يتمجد في لحظة منتهى الضعف "كان لنا في أنفسنا حكم الموت ولكنه نجانا". "حينما كثرت الخطية ازدادت النعمة جدًا". فهو عند دعوة لنا بخلاص ونجاة من الموت ولا يمكن أن يبطل وعده حتى ولو خربت كل المدن وكل البيوت وهدمت الأسوار ولم يعد رجاء "تأملت عن اليمين وأبصرت فلم يكن من يعرفني... ضاع المهرب مني وليس من يسأل عني". "باركي يا نفسي الرب الذي يفدي من الحفرة حياتك".

هكذا يعزي الرب إشعياء بل ويعزي جميع المنتظرين فداء لإسرائيل. إنه رغم القفر الروحي الذي يصل إليه الإنسان ورغم الجفاف الذي تؤول إليه شجرة البشرية كلها إلا أنه يبقى قضيب من جزع يسى.

وهنا الغصن هو الكرمة الحقيقية الذي فيه تتبارك وتتقوى جميع قبائل الأرض، هو أصل الشجرة وفرع من فروعها في آن واحد.

الأصحاح السابع

١. "وحَدَثَ في أيام آحاز بن يوثام بن عُزِّيَّا مَلِك يهوذا، أن رَصِين ملك أرام صَعِدَ مع فَقَحَ بن رمَليَا مَلِك إسرائيل إلى أورشليم لمُحاربتها، فلم يَقدر أن يُحاربها.

٢. وأُخبر بيت داود وقِيل له: " قد حَلَّت أرام في أفرايم. فرجَف قلبه وقلوب شعبه كَرَجَفَان شجر الوَعر قُدَّام الرِّيح".

لمحة تاريخية:

١. في الأيام الأولى لآحاز ملك يهوذا تحالف ملك إسرائيل "فقح بن رمليا" مع ملك آرام "رصين"... تحالفا معًا وشنا حربًا على مملكة يهوذا وهجمت جيوش رصين من شرق الأردن بينما جاءت جيوش إسرائيل من شمال يهوذا وانقضا عليها وقتل من يهوذا في يوم واحد مائة وعشرون ألفًا (٢ أخ ٢٨: ٦) ثم صعدا إلى عاصمة يهوذا (أورشليم) وحاصراها ولكن لم يقدرا عليها... وعندما إشتد الهجوم من الملكين رصين وفقح بن رمليا على أورشليم شرع آحاز ملك يهوذا في الاستغاثة بملك أشور (تغلث فلاسر)... وقد جاء مسرعًا وصَعد على دمشق بجيوشه وفتحها وسبى أهلها وقتل ملكها (٢مل ١٦: ٩). وهكذا أيضًا فعل بالسامرة (عاصمة مملكة إسرائيل).

وقد جاءت كتابة الأصحاحات ٧، ٨، ٩ من نبوات إشعياء النبي خلال هذه الظروف.

وقد تركزت هذه النبوات بالأكثر حول التجاء ملك يهوذا إلى طلب المعونة من إنسان (ملك آشور) وأخرج لنا الروح القدس من هذه الحوادث التي تبدو وكأنها أمورًا سياسية وحوادث زمنية.

وقد أخرج لنا الروح منها أمورًا روحية غاية في العمق مختصة بالخلاص – وقد تجاوز الروح القدس الناطق بفم إشعياء حدود الزمن وتخطى الحوادث ودخل بنا إلى المستقبل دخولاً روحيًا مباشرًا فصار القارئ لهذه النبوات كأنه يرى الحاضر في كمال المستقبل حسب قصد الله ومع أن هذه النبوات تمت زمنيًا في وقتها إلا أنها لم تقتصر عليه لأن كلمة الله لا تقيد لا بزمان ولا بمكان ولا بحوادث بل ترفع الحاضر وترتقي

به ليتناسب وكمال المستقبل التي تعلن عنه كلمات النبوة.

٢. في العدد الثاني يشير الروح إلى الخوف القلبي الذي اعترى آحاز ملك يهوذا. وقلوب الشعب أيضًا كيف ارتجفت كرجفان شجر الوعر قدام الريح.

رجف قلبه:

معلوم أن آحاز لم يكن صاحب قلب مستقيم قدام الرب ويكفي أن نقرأ ما كتب عنه "كان آحاز ابن عشرين سنة حين مَلك، ومَلك ستَّ عشرة سنة في أورشليم. ولم يعمل المستقيم في عيني الرب إلهه كداود أبيه، بل سار في طريق ملوك إسرائيل، وعمل أيضًا تماثيل مسبوكة للبعليم وهو أوقد في واد هنوم وأحرق بنيه بالنار حسب رجاسات الأمم، وذبح وأوقد على المرتفعات وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء. فدفعه الرب إلهه ليد ملك أرام" (٢ مل ١٦).

+ الآن نعلم سر الكلمة المكتوبة "رجف قلبه" لأنه لو كان قلبه مستقيمًا كداود أبيه لوجدناه يقول: إن قام عليَّ جيش فلا يخاف قلبي... وإن انقلبت الجبال في البحار ففي هذا أنا أطمئن.

+ الإحساس بتخلي الله عنه هو السبب الأول لهذا الخوف الذي ملأ قلب آحاز وقلب شعبه.

+ توقع قصاص الله في كل لحظة يجعل الإنسان مستعبد للخوف والرعب في كل مناسبة. هذا ما يخيف غير التائبين والسالكين في سبل معوجة... "أما الخائفون والزناة، فنصيبهم في البحيرة المتقدة".

+ الخوف ليس من الإيمان "وكل ما ليس من الإيمان فهو خطية".

+ الخائف لم يتكمل في المحبة... الذي يدرك محبة الله له لا يخاف شيئًا ولا يرجف قلبه.

+ الخوف دفعه إلى الاتكال على خداع الناس (ملك آشور).

+ انظر أيضًا كيف رجفت قلوب الشعب بسبب قلب الملك غير المستقيم... لقد صار عثرة قدام الشعب.

٣. "فقال الرب لإشعياء: اخرج لملاقاة آحاز، أنتَ وشآر ياشوب ابنك،

إلى طَرَف قناة البركة العُليا، إلى سِكَّة حقل القَصَّار".

اخرج لملاقاة آحاز:

من المرجح أن إشعياء النبي وهو مثقل بنير الخدمة لذلك الشعب المحاصر كان منسكبًا في خلوته أمام إلهه يطلب ويتوسل من أجل مواعيد الله لشعبه وهيكله المقدس وميراثه واسمه القدوس مثل موسى وإرميا وباقي الذين حملهم الرب بغير الخدمة بشبه المسيح. ولابد أن إشعياء قضى في انسكابه أمام إلهه وقتًا من المحتمل أن يكون قد وضع في قلبه أن لا يخرج والحال بذلك محزن أشد الحزن.

وقد رأينا إشعياء دائم اللجوء إلى الهيكل أو إلى مخدع الصلاة كخادم حقيقي كلما ضغطت خطية الشعب المتألم حوله أو كلما رأى وجه الرب يبتعد عنهم.

وبينما إشعياء منحصر في مخدعه منسكب في صلاته قال له الرب "أخرج لملاقاة آحاز". ما أجمل هذا الصوت عندما يسمعه الخدام في مخدع الصلاة يدعوهم للخروج... هنا يصير الخروج من المخدع هروبًا من مواجهة الرب في الصلاة ولا يكون الخروج هربًا من اكتشاف الذات وخداعًا منها ولا طلبًا للراحة بعيدًا عن الوحدة ولكن يتحول عمل الروح الذي كان منحصرًا في الصمت والصلاة يتحول إلى كلمات إلهية نارية وقوة للتبكيت وشهادة للتوبة والرجوع إلى الله.

+ على أننا نرى إشعياء وقد أسلم نفسه لطاعة الصوت الإلهي لم يتردد في أن يترك خلوته المحبوبة ولم يتعلل بقساوة قلب آحاز وبعده عن الله، وكم يفرح الرب بأن يجد خادمه في كل لحظة واقفًا منتظرًا صوته ليفعل إرادته، إن الكلمة التي نطق بها إشعياء أمام الرب "هأنذا فأرسلني" صارت حياة إشعياء... فهو تحت الطاعة كل حين لملاقاة آحاز.

لملاقاة آحاز:

لقد أسقط آحاز الرب إلهه من حسابه فهو محصور في مخاوفه يجمع مشورات معاونيه دون أن يلجأ إلى إلهه أو يطلب معونته واتجه قلبه متفكرًا في الاتكال على ذراع ملك آشور ليخلصه ونسى ذراع الرب القوية ولم يدخل الهيكل ولم يسأل أنبياء الرب ولا قدم ذبيحة... كان آحاز تائهًا مرتبكًا في أمور كثيرة.

ولكن ما هو موقف إلهنا الحبيب من آحاز ومن هم على شاكلة آحاز... هل يتركهم هكذا إلى النهاية؟... حاشا... لقد أرسل الرب لإيليا قديمًا ليتراءى لآخاب وها هو يرسل إشعياء لملاقاة آحاز... إن الرب إلهنا يهتم دائمًا بالنفوس المتعبة والمضطربة وهى لاهية عن خلاصها.

أنت وشآر يشوب ابنك: "شآر ياشوب معناه البقية سترجع".

لقد أمر الرب إشعياء أن يسمى ابنه بهذا الاسم الرمزي وكثيرًا ما كلم الرب الآباء بالأنبياء بطرق متنوعة وكانت هذه إحدى الطرق فقد أمر الرب هوشع أيضًا أن يسمى أولاده بأسماء رمزية – "لوعمى ولورحامه" أي لستم شعبي ولا أرحم – ليعلم الشعب أن خطاياهم فصلت بينهم وبين إلههم هكذا أيضًا عندما أنقضت جيوش آرام وإسرائيل على يهوذا وقتلت شعبًا كثيرًا وأخذت البقية أسرى وكانت هذه الأخبار رعبًا للملك آحاز وحزنًا وخوفًا لجميع الشعب أن الرب أمر إشعياء أن يحمل ابنه (شآر ياشوب) هذا ويخرج لملاقاة آحاز وكأن الرب يقول لآحاز ولشعبه بواسطة هذا المنظر كما يحمل إشعياء ابنه شآر ياشوب... هكذا سأحمل المسبيين الباقين وأرجعهم.

هذا بالنسبة للحوادث الزمنية ولكن بمجرد أن ينكشف أمامنا الروح المخفي في هذا الوعد برجوع المسبيين والحق المختبئ وراء هذا المنظر الرمزي تتضاءل أمامنا الحوادث الزمنية كلها وتبدو مواعيد الله عميقة وكاملة.

فالحرب حربًا روحية وهجومًا للخطية راح ضحيتها كثيرين "طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء" والبقية الباقية مسبية في قبضة إبليس منتظرة ومتوقعة خلاص إلهنا برجاء حي هى بقية كل جيل وكل أمة أبقاها الرب شاهدة "أبقيت لنفسي... سبعة آلاف رجل..." وهذه البقية تصرخ "انهض قوتك وهلم لخلاصنا...".

وهنا تشرق على مسبي الرجاء مواعيد الله العظمى والثمينة "البقية سترجع".

يا لهذا الفرح الإلهي... من يبشر المسبيين ومن يطفأ ظمأ النفوس التي عطشت إلى خلاص إلهنا حتى صارت كأرض عادمة المياه... "البقية سترجع" إلى حضن الآب ونعمة البنوة سترجع إلى حرية مجد أولاد الله... سترجع من سبيها البعيد إذ قد تغربت عن الله معذبة من نير الخطية ومسخرتها وضيق الجسد وغواية العالم..

سترجع إلى مكان راحتها.

على أن أعجب ما أدخره لنا الروح في هذا المنظر أن هذه البقية سترجع محمولة في شكل الابن... فلقد دخلت هذه البقية إلى مركز البنوة بالمسيح فصارت محفوظة في المسيح وصار لنا به قدومًا ودخولاً إلى الله ودالة ورجاء وحياة أبدية وصرنا بالمسيح وفي المسيح أحرارًا من العبودية.

إلى طَرَف قناة البركة العُليا، إلى سِكَّة حقل القَصَّار:

ما أكثر الفرق بين سلوك إشعياء كخادم لله وبين آحاز الملك فالضيق دفع إشعياء إلى مخدع الصلاة والتوسل بينما دفع آحاز إلى تأمين الحياة الحاضرة فذهب يطمئن إلى قناة الماء إذا حوصرت المدينة أورشليم. وهنا يكشف لنا مسلك الإنسان عن عمق قلبه وما أكثر الشبه بين آحاز وبين آخاب ملك إسرائيل الذي ذهب يبحث عن عشب للخيل وقت أن أغلقت السماء ثلاثة سنين وستة أشهر بدل أن يرجع إلى نفسه ويعترف بخطاياه التي سببت هذا الكدر للشعب... فالضيقة على قدر ما هى نافعة لأولاد الله لنموهم على قدر ما تكشف عور السالكين بعيدًا عن طاعة إلهنا.

عند طرف البركة:

فالرب مستعد دائمًا أن يتكلم مع الإنسان حيثما كان وفي أي وقت. في الموقع الذي يوجد فيه... في مكان الجباية أو تحت شجرة الجميز... أو عند بئر السامرة... أو في الطريق إلى دمشق أو عند طرف البركة... لذلك تستطيع النفس أن تميز صوت الرب وتتعرف على رسالته في كل وقت وفي أي مكان إن هى انتبهت وألقت جانبًا مشغولياتها واهتماماتها الباطلة.

٤. "وقل له: احترز واهدأ. لا تخف ولا يضعُف قلبُك من أجل ذنبي هاتين الشُّعلتين المُدخِّنتين، بحمُوِّ غضب رصين وأرام وابن رمليَا".

لقد كتب أحد الآباء قائلاً: لو كان الشعب قد استطاع أن يحيا وفق منظر العليقة لما احتاج إلى لوحي الشريعة فلأجل أولئك الذين لم يتأثروا برؤيا حوريب "العليقة" كانت رؤيا سيناء "الشريعة" ضرورية له... فحينما تنعدم

الحـرارة الداخليـة تكـون الحاجـة ضـرورية إلـى وصـايا مكتوبـة علـى ألـواح حجرية.

على هذا القياس كلف الرب إشعياء أن يتكلم مع آحاز إذ لم يؤثر فيه رؤية إشعياء وهو حامل ابنه "شآر ياشوب" وهكذا لم تنفتح عين آحاز ولا عيون الشعب على هذا المنظر لأنهم لو تأثروا بهذا المنظر وأدركوا غنى مواعيد الله لما احتاجوا بعد إلى كلام.

احترز واهدأ:

إن نفس الإنسان أشبه ما تكون بسفينة التلاميذ تظل معذبة من الأمواج مضطربة من الرياح تندفع في حركتها وتتخبط في التصرف إلى أن تقبل الرب داخلها فيصير هدوء عظيم وحيثما حل الرب يصير هدوء في الحال وسلام ليس على مستوى العالم أو ليس كما يعطي العالم، هذا ما حدث أيضًا عندما دخل الرب القائم من الأموات إلى علية التلاميذ وهى مضطربة بهم مليئة بمشاعر الخوف من اليهود – وقال أولاً السلام لكم.

لذلك كانت رسالة الرب إلى آحاز في بدايتها "احترز واهدأ" جيد للإنسان أن يقف قليلاً ويهدأ ويراجع طريقه لأنه: "توجد طريق تَظهر للإنسان مستقيمة وعاقبتها طُرق الموت" (أم ١٦: ٢٥).

إن طبيعتنا سريعة الانفعال سريعة الذلل تأخذ القرارات بخفة وطياشة... ما أحوجنا أن نهدأ وأن نحترز "ليكن كل إنسان مبطئًا في الكلام مبطئًا في الغضب".

والاندفاع دائمًا يكون من عمل الذات البشرية والإنسان الحكيم يلتمس مشورة الله مثل نحميا عندما سأله الملك متى يكون سفرك ومتى ترجع لم يندفع في الجواب ولكن رفع قلبه وصلى إلى إله السماء وطلب مشورة ثم جاوب الملك فوجد نعمة في عينيه.

وقل له: احترز واهدأ. لا تخف ولا يضعُف قلبُك من أجل ذنبي هاتين الشُّعلتين المُدخِّنتين، بحمُوِّ غضب رصين وأرام وابن رمليَا.

رأى آحاز رصين ملك أرام وفقح ملك إسرائيل في هجومهما على يهوذا كأسد زائر في غضبه ومثل نار تلتهم كل شيء أمامها ووقع أمام هذه القسوة في يأس وصغر نفس.

قد يبدو العالم جبارًا وقوى الشر عاتية مثل الريح العاصف ولكن يجب أن أولاد الله يعرفوا الحقيقة "الذي فيكم أعظم من الذي في العالم".

من هو جليات الأغلف الذي يعيّر صفوف الله الحي أمام جبروت داود الصغير وثقته في إلهه... وما هى قوة نار الأتون أمام الثلاثة فتية القديسين المتأكدين من رفقة ابن الله... هكذا تبدو قوات هذا الدهر كأنها لا شيء أمام ثقة أولاد الله "ثقوا أنا قد غلبت العالم".

وعبثًا حاول إشعياء بث روح الثقة هذه في آحاز الملك.

إن تقدير الإنسان لقوة العدو يجب أن تدخل فيها تقديرات الله، فالله ناظر إلى هذين الملكين وغضبهما الشديد.

كذنبي شعلتين مدخنتين... لا يخشى منهما... إنهما كلا شيء.

مغبوط هو الإنسان الذي ألقى رجاءه بالتمام على ذراع إلهنا في حربه الروحية... حينئذ يكتشف أن الحية القديمة انكسرت أنيابها وسكب سمها على الأرض "إنسحق الشيطان".

ويكتشف الإنسان أن رباطات الخطية وسلطانها وسطوتها – التي تبدو أحيانًا كنار وكأسد – يكتشف أن كل هذا وهم كاذب وأنه بالمسيح يسوع يستطيع كل شيء وأن أسلحة محاربتنا قادرة بالله على هدم حصون.

٥. " لأن أرام تآمرت عليك بشَرٍّ مع أفرَايم وابن رمَليا قائلة:

٦. نصعد على يهوذا ونُقوِّضُها ونستَفتِحُها لأنفسنا، ونُمَلِّكُ في وسطها ملكًا، ابن طبئيل.

٧. هكذا يقول السيد الرب: لا تَقوم! لا تكون!".

أراد الرب أن يطمئن نفس آحاز الملك بأكثر تأكيد فقال له بفم إشعياء أن هذه المؤامرة ليست من عندي وهذه المشورة باطلة وكل كلامهم الذي تكلموا به ليس من قبلي.

ولو أن آحاز له قلب متكل على الرب لكان يكفيه أن يسمع هذا الوعد الإلهي ويفرح به وهكذا يقول السيد الرب لا تقوم لا تكون.

كان يكفي لهذا الوعد أن يضع آحاز متكله ورجاءه وثقته كلها في وعد الله. هكذا تفعل النفوس الأمينة لو تآمر العالم كله ضد كنيسة الله المتكلة على ذراع حبيبها والمطمئنة إلى وعده "أن أبواب الجحيم لن تقوى عليها" وإن مؤامرة الأشرار في كل جيل وغضبهم وحقدهم وتهديداتهم "لا تقوم لا تكون".

+ على أننا أيضًا من خلال كلام أرام وأفرايم ومؤامراتهم نستطيع أن نتأمل غرور القوة العالمية وثقتها وتخطيطها للمستقبل ونظرهما إلى يهوذا بإحتقار قائلين" "نقوضها ونستفتحها" لقد نسيا تمامًا إله السماء المتسلط على ممالك الناس أليس هذا ما فعله جليات وهو يعيّر صفوف الله الحي نظر إلى قوته متكلاً على ذاته.

+ إن هذا الهجوم الذي تعرضت له مملكة يهوذا كان بلا سبب فأرام وأفرايم (تآمرتا بشر) فالدافع كان شهوة شريرة لذلك كان وعد الرب "لا تقوم لا تكون".

٨. "لأن رأس أرام دمشق، ورأس دِمشقَ رصين. وفي مُدَّة خَمْس وستِّين سنةً ينكَسِر أفرايم حتى لا يكُون شعبًا.

٩. ورأس أفرايم السّامرة، ورأس السامرة ابن رمَليا. إن لم تؤمنوا فلا تأمَنوا".

إن الرب ينظر إلى أرام وأفرايم وقد تأمرتا بالشر وصارا آلة في يد الشيطان يتفكر بالشر على يهوذا بلا سبب... ينظر إليهما مثل الحية ويقول الرب: إنه سيسحق هذه الحية... رصين وابن رمليا هما رأس المملكتين المتحركتين بالشر وحياتهما أمام الرب كبخار وكنفخة. وفخر المدن في هاتين المملكتين هما دمشق والسامرة والرب مزمع أن يكسر كبرياءهما ويفرق شعبيهما قبل خمس وستين سنة وقد حدث هذا بالفعل (٢ مل ١٧: ٢٤).

- ماذا بعد كل هذه التأكيدات والوعود الإلهية.
- أيخاف الملك ويرتعد قلبه أم يطمئن إلى مواعيد الله؟

إن لم تؤمنوا فلا تأمنوا:

"بدون إيمان لا يمكن أرضاؤه" (عب ١١: ٦).

"الإيمان هو الثقة بما يُرجى والإيقان بأمور لا ترى" إن لم تؤمنوا فجميعكم كذلك تهلكون".

بعد أن تكلم الرب من آحاز بمواعيد مطمئنة للنفس وثابتة وقوية... كلمه على فم إشعياء النبي قائلاً: "إن لم تؤمنوا فلا تأمنوا" إن لم يؤمنوا فلا أمان ولا حاجة ولا طمأنينة ولا سلام قال إلهي للأشرار فالإيمان يستطيع أن يعمل كل شيء لأن كل شيء مستطاع للمؤمن (مر ٩: ٢٣). ووجود الإيمان في الإنسان دليل على علاقة شخصية بالله وحب وطاعة ودالة وثقة مطلقة بمواعيده ونتيجة الإيمان اعتماد كلي وتسليم مطلق لمشيئته مهما اصطدم هذا الإيمان بالواقع أو المنطق أو الظروف المحيطة.

فالذي يؤمن بالله حقًا يتحتم عليه أن لا يخاف شيئًا ولا يقيم وزنًا لشيء بل يضع أمامه مواعيد الله كمرساة مؤتمنة وثابتة للنفس ونحن لو راجعنا أمثلة الإيمان لرأينا كيف أن "بالإيمان... قهروا ممالك. صنعوا برًا نالوا مواعيد سدوا أفواه أسود، اطفأوا قوة النار، نجوا من حد السيف، تقووا من ضعف، صاروا أشداء في الحرب، هزموا جيوش غرباء".

وكم نجد إنسانًا مثل آحاز المتجرد من الإيمان خاب من معونة الله وخاب من النعمة متكلاً على معرفته البشرية التي أساسها الخوف والاحتراس والحذر والفحص والقياس والاتكال على ذراع البشر والحكمة البشرية ونسى أنه بالإيمان ينال أكثر مما يطلب أو يسأل.

(إذا رفض الإنسان كل معاضدة بشرية منظورة وكل آمال بشرية ولصق نفسه بالإيمان بالله بقلب نقي غير منقسم فإنه في ساعته تلازمه النعمة وتظهر فيه قوتها بمعونات مختلفة). "مار افرام السرياني"

إن عين الإيمان عجيبة جدًا ولو أن آحاز أسلم نفسه لهذا الإيمان لنظر إلى الأشياء التي لا تُرى مثل تلميذ أليشع الذي نظر قوات روحية وصرخ قائلاً: "أن الذين

معنا أكثر من الذين علينا". ووجد أن قوة العدو ضئيلة جدًا أمام جيوش الملائكة. كان يرى بعين الإيمان رصين وابن رمليا ذنبي شعلتين مدخنتين ويرى أنهما بنفخة من القدير ينكسر أفرايم فلا يكون شعبًا.

إننا كأولاد الله نسلك بالإيمان لا بالعيان... إيمان بمواعيد الله إيمانًا بالحياة الأبدية وملكوت الله الذي فينا... وهذه هى الغلبة التي نغلب بها العالم "إيماننا". إننا قطيع صغير ولكن بلا خوف... وأننا ضد العالم ولكنه عالم مغلوب وأننا نحارب قوات الشر ولكن لنا إيمان بأن الذي فينا أعظم من الذي في العالم.

١٠. "ثم عاد الرب فكلّم آحاز قائلاً:

١١. أُطلب لنفسك آيةً من الرب إلهك. عَمِّق طلَبك أو رَفِّعه إلى فوق".

ثم عاد الرب وكلم آحاز:

هنا يندهش الإنسان من طول أناة إلهنا وكثرة تحننه... كان يكفي ما تكلم به الرب أولاً من مواعيد وتأكيدات إلهية... كان يكفي أن قلب آحاز ظل كما هو مغلقًا دون كلمات الرب الإله... أما وأن الرب يعود فيتكلم آحاز مرة أخرى فهذا معناه أن الرب لا ييأس من نفس واحدة مهما بلغت من عدم الإيمان أو قساوة القلب هو يظل أمينًا في كلامه أمينًا في وعده يقرع الباب لا مرة ولا مرتين بل مرات ومرات... ثم يعود فيقرع أيضًا لعل النفس تتحنن عليه وتفتح إن صح هذا التعبير.

وفي هذه المرة يتكلم الرب مع آحاز متنازلاً تنازلاً إلهيًا مدهشًا للغاية فهو يترك لآحاز أن يختار بطريقته الخاصة نوع التأكيد الإلهي "أُطلب لنفسك آية" والرب الإله مستعد دائمًا إجابة طلب الإيمان على أن يكون الإيمان كاملاً في القلب "ليطلب غير مرتاب لأن المرتاب يشبه موجًا من البحر تخبطه الرياح فلا يظن ذلك الإنسان أن ينال شيئًا من عند الرب".

لقد طلب جدعون آية قبل ذلك وكان الرب حسب طبيعته سخيًا في العطاء فأعطاه حسب طلبه لا مرة بل مرتين "أن ينزل الندى على الجزة بينما الأرض حول الجزة يابسة ومرة أخرى ينزل الندى على الأرض وتظل الجزة يابسة".

وموسى عندما قال للرب أن الشعب لا يصدقه أعطاه آيات "العصا – اليد – ماء النهر".

وحزقيا الملك أيضًا عند شفائه أعطاه الرب علامة أن رجعت الشمس عشر درجات (إش ٣٨).

أُطلب آية من الرب إلهك:

وكان السيد الرب يعاتب آحاز أيضًا بلطفه الإلهي قائلاً: لماذا تذهب بعيدًا لماذا تطلب من ملك آشور الوثني ولا تطلب مني – أُطلب من الرب إلهك– أنا إلهك وإله آبائك، ألم يطلب سليمان أبوك حكمة فأعطيته؟ وطلب عزيا وفي طلبه الرب أنجحه.

عمق طلبك أو رفعه إلى فوق:

أُطلب لنفسك آية في الأمور الأرضية أو الأمور السماوية... فقط أُطلب وأنا أجيبك من السماء من فوق ومن الأرض من أسفل... السموات تحدث بمجدي (الله) والفلك يخبر بعمل يدي... من أجلك ألجمت البحر وأظهرت طبيعة الحيوان. أخضعت كل شي تحت قدميك... **فقط أُطلب آية!!**

ألست أنا الجاعل آياتي في فرعون ويدي القوية أخرجت الشعب وجعلت في البحر طريقًا، ألم أُعط الشعب آية من السماء المن ليأكلوا؟ الذي لم يكن يعرفه آباؤك. عمق طلبك أو رفعه إلى فوق.

١٢. "فقال آحاز: لا أطلُب ولا أُجرِّب الرب".

مسكينة هى النفس التي تقسي قلبها إلى هذا الحد، الرب يقرع ويتوسل ويطلب إلى النفس... افتحي لي يا حبيبتي، يا كاملتي، شعري امتلأ من الطل، وقصصي من نُدَى الليل. والنفس ذاهبة في قساوتها إلى أن قيل "حبيبي تحوَّل وعَبَرَ. طلبته فما وجدته، دعوته فما أجابني.

لقد كلم الرب آحاز مبكرًا ومتأخرًا بالوعود الكثيرة وتوسل إليه قائلاً: أُطلب لنفسك آية من الرب إلهك. ووضع كل شيء تحت قدميه... ولكن جواب آحاز "لا أطلب".

لا أطلُب ولا أُجرِّب الرب:

معلوم أن آحاز لم يطلب لسبب عدم إيمانه بالله وعدم ثقته في كل الكلام الذي نطق به إشعياء... ولكن الذي يدهش الإنسان أن آحاز يبرر عدم طلبه بكلمة الله قائلاً: "لا أُجرب الرب" إن كثيرين من الذين يسلكون سلوكًا معوجًا يبررون سلوكهم المعوج بتحوير كلمة الله أو بتفسيرها تفسيرًا خاطئًا يتفق وسيرتهم الرديئة.

ويسكتون ضميرهم المعوج ويخدعون أنفسهم بتنفيذ الوصية حسب استحسانهم وليس حسب قصد الله.

وتصير كلمة الله المكتوبة والناموس لهلاكهم وليس لخلاصهم "الناموس صالح إن كان أحد يستخدمه ناموسيًا" – لقد بكت يعقوب الرسول أيضًا المحاباة التي أخذت شكل محبة القريب.

إن المجرب كان يجرب الرب بالمكتوب يحوره حسب قصده النجس وكان الرب يكشف أيضًا خبثه قائلاً: مكتوب أيضًا... أنه يستطيع أن يغير شكله إلى شكل ملاك نور حينما يحول كلمة الله والوصية ليخدم غايته "الحكمة، الخبث، القسوة، والحزم". الحرف يقتل ولكن الروح يحيي.

صحيح أنه مكتوب لا تجرب الرب إلهك... وآحاز بقلبه الملتوي استخدم هذه الآية وارتكن عليها ضميره المعوج ولكن أين روح الوصية... هذه خطورة الذين يتمسكون بالحرف ويهملون الروح.

١٣. "فقال: اسمعُوا يا بيت داود! هل هو قليلٌ عليكم أن تُضجِروا الناس حتى تُضجِروا إلهي أيضًا؟".

عندما سمع إشعياء النبي إجابة آحاز الملتوية وانكشف أمامه عدم إيمانه بكلام الرب ومواعيده وقال لا أطلب وأجرب الرب التهب قلب إشعياء واحتدت روحه فيه... أنها الغيرة الروحية المقدسة في قلب الخادم عندما يرى نفوسًا ارتدت عن الإيمان وزاغت عن الحق...

اسمعوا يا بيت داود "أهو قليل عندكم... ألا يكفيكم عدم تقيد خطورة الخطية".

لأنك لم تسمع لصوت الرب اللطيف الهادئ ولم تصدق مواعيده... اسمع صوت الدينونة... لأن الرب قرع على بابك مرات ولم تستجيب لندائه. ها هو يغلق دونك الباب ويقول "أني لا أعرفكن"... لأنك لم تعرفي زمان افتقادك... تأت ساعتك... يهدمونك وبنيك فيك.

اسمعوا يا بيت داود يا آحاز أنت وآباؤك الذين كدرتم إسرائيل بترككم الرب وسيركم وراء آلهة غريبة... أضجرتم الناس، صرتم قدوة ردية وعثرة... ولم تكتفوا بهذا بل أضجرتم إلهي أيضًا... استوجبتم غضبه وسخطه... تركتم وصاياه. احتقرتم مواعيده هدمتم مذابحه... قتلتم أنبياءه.

١٤. "ولكن يُعطِيكُم السيد نفسُهُ آية: ها العذراء تحبَل وتلِد ابنًا وتدعو اسمه عمانوئيل".

آية على بقاء بيت يهوذا أبديًا.

آية على انكسار قوات الشر روحيًا إلى الأبد.

آية أعمق مما تطلب وفوق ما ترتفع.

آية على ثبات مواعيد الله وصدقها.

آية على أن البقية تستخلص وأن الرب سيحملها كما يحمل الأب ابنه.

+ جيل شرير يطلب آية ولا تعطى له... كما كان يونان آية في جيله كذلك يكون ابن الإنسان.

أية آية ترثينا حتى نؤمن بك... موسى أعطانا المن... ليس موسى أعطاكم... أنا هو المن النازل من السماء الواهب حياة للعالم.

الآن مرة أخرى يتخطى الروح الحوادث الزمنية من قيام مملكتي أرام وإسرائيل للهجوم على يهوذا ثم مواعيد الله من أن هذه المؤامرة لا تقوم ولا تكون وأن البقية من المسبيين في الحرب سترجع وأن ملكي أرام وإسرائيل ستنتهي حياتهما سريعًا كفتيلة مدخنة وأن المملكتين ذاتهما ستخربان وأن أفرايم ينكسر فلا يكون شعبًا... كل هذه الحوادث فعلاً تمت بكمالها زمنيًا في ذلك الحين... ولكن الروح يتخطى هذه الحوادث زمنيًا ويحولها كلها إلى صورة رمزية غاية في الإبداع.

+ فالسيد الرب يتدخل ويعطي آيته العجيبة العالية:

ها العذراء تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمه عمانوئيل.

+ آية على بقاء بيت يهوذا روحيًا وأبديًا إذ يولد من العذراء من سبط يهوذا الابن "عمانوئيل" الذي تفسيره اللَّه معنا وهذا يعني أنه يتحد اللَّه نفسه بجسم بشريتنا ويصير واحدًا معنا ونسله يبقى إلى الأبد. ومملكته الروحية تثبت بالبر ولا يقوى عليها الموت "ويملك على بيت داود أبيه – ولا يكون لملكه نهاية".

+ آية على انكسار مملكة الشر الروحية وإلى الأبد أو أن نسل المرأة عمانوئيل سيسحق رأس الحية وإلى الأبد أو بصليبه المُحيي وموته على الصليب سحق الشيطان وجرد الرئاسات وظفر بهم " أين شوكتك يا موت أين غلبتك يا هاوية".

+ آية على انكسار أفرايم حتى لا يكون شعبًا بعد أن دعيَ شعب اللَّه ولكنه لم يثبت في دعوته "إسرائيل القديم"... وقد صار شعبًا جديدًا للَّه متحدًا في جسد عمانوئيل.

+ آية على ثبات القلب والشجاعة الروحية في الإحساس الحقيقي بوجود اللَّه في حياة الإنسان "عمانوئيل اللَّه معنا"... أنا هو لا تخافوا... ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب... لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد... دفع إليَّ كل سلطان... أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر.

+ آية على أن البقية المعنية للحياة الأبدية التي سباها الشيطان زمانًا هذا مقداره وأحدرها إلى الجحيم سوف يصعدها عمانوئيل من سجنها ويفكها من رباطها ويحملها ويمجدها في نفسه "سبى سبيًا وأعطى الناس كرامات... نزل إلى أقسام الأرض السفلى... أقامنا معه...".

+ آية تنهي محنة إشعياء بين موت عزيا ونهايته وخوف آحاز وعدم إيمانه.

الملك المسيح غاية الأمم. يشترك مع الشعب في وجعهم منذ ولادته إلى صليبه.

إن آية الميلاد التي وضعها الملاك للرعاة كعلامة مضمونة وأكيدة للتعرف على المخلص مسيح الرب لا تزال هى بعينها آية الظهور الإلهي وآية الخلاص معًا.

تجدون طفلاً مقمطًا مضطجعًا في مزود... هو هو الذي تقيد في يديه ووضعوه

على الصليب.

وهو هو الذي قال تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب...

نحن مدعوون دائمًا للتعرف على المسيح ولكن قل من يجده ومن يراه لأننا لا نطلبه في المزود ونبحث عنه خارج الصليب لذلك نضيع العمر باطلاً... في بساطة الطفولة نتعرف عليه في قيود الضعف والتسليم والطاعة، يشير علينا بلاهوته في فقر الجسد وعوز الطبيعة نرى مجده ونعاين قوته.

وتدعو اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا:

اسم عمانوئيل يفيد حضور الله مع شعبه في وسطهم وحضورهم معه وفيه وهو أخذ جسدنا ليكون معنا في كل شيء "إذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم، اشترك هو أيضًا فيهما". فهو معنا في إنسانيتنا بكل ما فيها من ضعف ما خلا الخطية وحدها... معنا شريكًا في اللحم والدم ونحن معه أيضًا من لحمه ومن عظامه أخذ جسدنا المائت ووحده فيه وأعطانا جسده المحب وأقامنا معه.

معنا في أكلنا وشربنا ودخولنا وخروجنا ونومنا وقيامنا وسيرنا ووقوفنا، معنا في العمل والسكون والشارع والبيت، معنا في حربنا وجهادنا وشريكنا في صومنا وصلاتنا ودموعنا وأنيننا "عمانوئيل" معنا في وسطنا حال فينا، معنا كل الأيام وإلى انقضاء الدهر.

ونحن مدعوون – كأولاد الله – أن نكون معه "أقام اثنيْ عَشر ليكونوا معه" (مر٣: ١٤).

وهو يقول للآب: "أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون" (يو١٧: ٢٤). فهو صار معنا لنصير معه في كل حين وإلى انقضاء الدهر.

والذي يلفت النظر أن أول من استحق بركات الوجود في معية الله ودعا الرب الحبيب بهذا الاسم هى العذراء الطاهرة "تدعو اسمه عمانوئيل" فهى التي دعته أولاً بهذا الاسم المبارك كثمرة للوجود الدائم في حضرته والتي اختصت بها العذراء القديسة وانفردت بها فصار "عمانوئيلها" الشخصي. إذ صح هذا التعبير كما حيّاها الملاك قائلاً: "الرب معك" فهو صار لها "عمانوئيل" "الله معها"

وهو في بطنها وحين حملته على ذراعيْها الطاهرتين وعظَّمته ركبتاها وأرضعته من ثدييها.

كان معها حضورًا إلهيًا فريدًا في نوعه صار معها ولها ابنًا وصارت معه أمًا "قامت الملكة عن يمينك أيها الملك".

١٥. "زُبدًا وعسلاً يأكلُ متى عَرَف أن يرفُضَ الشر ويختار الخَير.
١٦. لأنه قبلَ أن يعرفَ الصّبي أن يرفض الشر ويختار الخَير، تُخلَى الأرض التي أنت خاشٍ من مَلِكيها".

زبدًا وعسلاً يأكل:

إنه يشاركنا طعامنا وهو طفل "... كان الصبي ينمو ويتقوى في النعمة والقامة...".

كنعان أرض الموعد قال عنها الرب أرض تفيض لبنًا وعسلاً وهى حسبت رمزًا لراحتنا الأبدية وميراثنا في المسيح "بقيت راحة لشعب الله".

والمسيح عمانوئيل أعطانا نعمة البنوة فصرنا ورثة مع المسيح وارثون في المجد في الميراث الذي لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل.

أورشليم العليا التي هى أمنا جميعًا... الراحة الحقيقية في الله نفسه، في المدينة التي لها الأساسات التي صانعها وبارئها الله... وأوصاف هذه المدينة الروحية لا يسوغ لإنسان أن يتحدث عنها... هناك يطعمنا الله خبز الحياة المن المخفي ويسقينا من شهد حبه الإلهي، المدينة تفيض شبعًا أبديًا إلى دهر الدهور.

الزبد من اللبن الفعلي العديم الغش والعسل هو الوصية الإلهية والمواعيد التي اشتهتها البشرية كلها... وجدت كلامك فأكلته أحلى من العسل والشهد في فمي... إن قولك أحياني.

مكتوب عن الطفل المبارك عمانوئيل أنه دخل الهيكل في السن التي يعرف الأطفال فيها أن يختاروا الخير ويرفضوا الشر في سن إثنى عشر سنة وجلس بين المعتبرين معلمي الناموس وحافظي الشريعة يسألهم ويرد على استفساراتهم وكانوا يتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه ومن الحكمة الإلهية المذخرة فيه.

جلس عمانوئيل يقدم من خيرات الأرض الجديدة والسماء الجديدة للذين تعتقوا في أيام الغربة في برية العالم يقدم لهم من دسم بيته زبدًا وعسلاً ونعمة وكلام حكمة.

هذا هو الطعام الذي يأكله عمانوئيل! "ينبغي أن أكون في ما لأبي..." ... لقد سأله التلاميذ بعد ذلك الزمان. أن يأكل وقد جاع وهو عند بئر سوخار يتحدث مع المرأة السامرية... "يا معلم كُل. فأجابهم لي طعام آخر لستم تعرفونه... طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله".

لأنه قبلَ أن يعرفَ الصّبي أن يرفض الشر ويختار الخَير، تُخلَى الأرض التي أنت خاشٍ من مَلِكيها.

إن هذه الأمور التي تحدث عنها الرب ستحدث في ملء الزمان وتحتاج إلى إيمان لكي تمتد العين إلى منتهى السنين وتدرك غير المنظور ولكن أين آحاز المسكين من هذا الإيمان...

لذلك فهو محصور في الأمور الزمنية ومحدود بها وعبثًا محاولة إبعاده وإخراجه خارج دائرة الزمن فهو لا يرى ولا يستطيع أن يرى أن العذراء تحبل وتلد وهو عاجز أيضًا عن أن يتمتع – ولو بالإيمان برؤية عمانوئيل (الله معنا)... لأنه فعلاً لا يعرف معية الله... ولكن ما يراه بنفسه الذليلة المضطربة الخاشية من سطوة الملوك ورعبة الموت هو كل ملموس ومحسوس بالجسد فقط... مسكينة هذه النفس التي يغلق عليها داخل هذا السجن المظلم فلا ترى إلا جدرانه الكثيفة في ظلام!

من هذه الإعلانات الإلهية الفائقة للعقل البشري لم يرَ آحاز إلا إشعياء وهو حامل طفله "شآر ياشوب" ويتكلم معه بكلام الناس.

لهذا الإنسان الجسدي غير المؤمن قدّم الرب تأكيدًا مناسبًا ووعدًا زمنيًا قائلاً، قبل أن يعرف هذا الطفل "الذي تراه بعينيك الجسدية محمولاً على كتف إشعياء أبيه" قبل أن يعرف أن يختار الخير ويرفض الشر "أي سن ١٢ سنة" ستخلى الأرض التي تخشاها من الملكين رصين ملك أرام وفقح بن رمليا ملك إسرائيل.

وقد تمت هذه النبوة بالفعل فقد هاجم ملك أشور دمشق وقتل رصين كما قام هوشع بن أيلة على فقح بن رمليا وضربه وقتله وملك عوضًا عنه (٢ مل ١٦: ٩)،

(٢ مل ١٥: ٣٠).

وقد حدث هذا في مدة وجيزة من هذا التأكيد الإلهي.

ورجعت البقية التي تكلم عنها الرب زمنيًا فعاد حوالي ٢٠٠,٠٠٠ أسير الذين سباهم فقح ورصين من يهوذا إلى وطنهم.

١٧. "يجلبُ الرب عليكَ وعلى شَعبك وعلى بيت أبيكَ، أيامًا لم تأتِ منذ يوم اعتزال أفرايم عن يهوذا، أي ملك أشُّور".

+ نهاية الاتكال على ذراع البشر وقوة الناس.

+ من أراد أن يكون مُحبًا للعالم فقد صار عدوًا لله... محبة العالم عداوة لله.

عندما تقابل إيليا مع آخاب الملك الزائغ وراء غواية امرأته وعبادة البعل قال آخاب لإيليا "يا مكدر إسرائيل" فقال له إيليا النبي بكلمة فيها قوة دينونة إلهية...

"بل أنت وبيت أبيك يترككم الرب وسيركم وراء البعليم" أن إنسان واحدًا يخالف الوصية يكدر الجماعة كلها مثل عاخان بن كرمي عندما خان خيانته فقال له يشوع "كدرتنا يكدرك الرب".

لقد كان سبب هزيمة للشعب كله ومرارة نفس.

فكم يكون الحال إذا كان الملك نفسه قد أسلم نفسه ليد الشيطان. أين هذا من إحساس بولس الرسول الذي يود لو يموت ولا يعثر أحد إخوته الأصاغر.

+ على أن الرب لأجل خلاصنا يدبر أن الذين يسيرون وراء العالم يطلبون شهوة أو سند أو شيئًا من أباطيله يخذلهم العالم مثل الابن الشاطر عندما تخلى عنه أصحابه وكان ذلك سببًا في رجوعه...

"العار أرده على المخصبين والهوان على المتعظمين".

+ هذه هى طبيعة العالم يبدو أن يحبني اليوم ثم يلتفت ليمزقني غدًا، يظهر نفسه كصديق يدافع عني ثم يعود فيلتهمني... أليس هذا هو ملك أشور الذي ينسى آحاز إلهه من أجله ويتغاضى عن مواعيد الرب بسببه، إنه هو هو عصاة التأديب لآحاز بل ولكل شعبه ولكل بيت أبيه.

١٨. "ويكـون في ذلـك اليـوم أن الـرب يصْـفِر للـذُّباب الـذي في أقصَـى تُـرَع مِصْرَ، وللنَّحل الذي في أرض أشـور".

لقد تحالفت يهوذا مع أشور تارة ثم مع مصر مرة أخرى وقد قامت بين أشور ومصر عدة حروب وكانت في كل مرة ضحية هذه الهجمات يهوذا الحليفة لأحدهما.

+ ونحن نجد أن هذا الخراب الذي يحل بيهوذا هو بسماح من الله فهو مصفر للذباب وللنمل الذي في أشور – أي أنه يدعوهم.

وليتنا نستفيد عندما نشعر بهجمات العالم علينا ونرجع إلى الرب إلهنا. أن غزو العالم للكنيسة بذبابه ونمله بسبب انفتاح الكنيسة واتكالها على ذراع العالم وتحالفها معه.

لقد شبه الرب جيوش مصر بالذباب وجيوش أشور بالنمل من أجل كثرتهم وضررهم... والذباب هو ضربة من أجل قساوة القلب ووجع من أوجاع العالم وقد وعد الرب قديمًا قائلاً "من أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام وتحفظونها وتعملونها يحفظ الرب إلهك العهد والإحسان... ويرد الرب عنك كل مرض وكل أدواء مصر الرديئة" ولكن عندما حادوا قال: "بما ليست أمة أغيظكم" بالأمم الوثنيين بذباب مصر ونمل أشور.

١٩. "فتـأتي وتحِـلُّ جميعُهـا في الأوديـة الخربَـة وفي شـقُوق الصّـخُور، وفي كل غاب الشّوك، وفي كل المراعي".

تحل جيوش العالم فتغطي ملامح يهوذا بجوانبها لا تترك فيها مكانًا إلا وتملأه.

تأمل كيف تصير المملكة المتروكة من الله للتأديب بيد العالم الذي لا يعرف الرحمة!

٢٠. "في ذلـك اليـوم يَحلِـقُ السيد بموسـى مُستأجَرةٍ في عَـبر النهـر، بمَلـك أشور، الرأس وشعر الرِّجلين، وتَـنزع اللحيـة أيضًا".

ملك أشور:

آلة تعذيب في يد الرب – ليس له سلطان ولا قوة من ذاته إنه في يد ضابط

الكل مثل الموسى المستأجرة ولكن العجيب أن آحاز هو الذي استأجره ليدافع عنه وإذا بالموسى يأتي على المملكة كلها، ويحلق فيها السيد الرأس أي أصحاب المراكز العالية وشعر الرجلين أي عامة الشعب وشعر اللحية أيضًا أي الكهنة والملك وبيت الملك المعتبرين ذوي كرامة.

عندما يصير الإنسان في مكان الطاعة من إلهه يصير في بهجة القداسة مدهونًا شعره بالزيت نازل من الرأس العالي والتدبير الإلهي إلى اللحية المباركة. وزيت النعمة يشمل الجسم كله... ولكن عندما يضرب الجسم ببرص الخطية فإنه مكتوب في الناموس في شريعة تطهير الأبرص أنه يحلق شعر رأسه ولحيته وشعر الرجلين والحواجب أيضًا ويستحم بماء" (لا ١٤: ٨، ٩).

هذا ما يفعله الرب الإله في هذا التطهير الزمني الذي يحل بيهوذا حسب كلام النبوة "تأديبًا أدبني الرب ولكن إلى الموت لم يسلمني".

٢١. "ويكون في ذلك اليوم أن الإنسان يُربِّي عِجلَة بقر وشاتَين.

٢٢. ويكون أنه من كثرة صُنعها اللبن يأكل زُبدًا، فإن كل من أُبقيَ في الأرض يأكل زُبدًا وعَسلاً.

٢٣. ويكون في ذلك اليوم أنَّ كل موضِع كان فيه ألف جَفْنَةٍ بألفٍ من الفضة، يكون للشوك والحَسَك.

٢٤. بالسِّهام والقَوْس يؤتى إلى هناك، لأن كل الأرض تكون شوكًا وحَسكًا.

٢٥. وجميع الجبَال التي تُنقَب بالمِعوَل، لا يؤتى إليها خوفًا من الشوك والحَسَكِ، فتكون لِسَرح البَقَر ولدوس الغَنم".

ونحن هنا نرى صورة أليمة جدًا للحالة التي تؤول إليها مملكة يهوذا المحبوبة.

+ في مكان تسمع عن الشوك والحسك (أجرة الخطية)... "شوكًا وحسكًا تنبت لك الأرض"...

+ هناك بقية في هذه الأرض الحزينة، وهذا ما يعزي النفس جدًا أن الرب من أجل أمانته يبقي على بقية في كل جيل "لنا في كل قرن خلاص". فالخطية مهما بلغت لا تأتي على كل عمل الله "فسادوم وعامورة قتلتهما نار الغضب الإلهي ولكن

هناك بقية للرب... والعالم الأول أيضًا هلك بالطوفان ولكن هناك بقية تخلص ... "يعرف الرب أن ينقذ الذين هم له".

وهذه البقية رغم هذا الفقر "تربي عجلة بقر وشاتين" ولكن غنى نعمة الله تجعلهما – تأكل زبدًا وعسلاً كعربون الميراث للبقية التي تخلص في يوم الدينونة ونهاية العالم كله.